الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:2021/2020

أنساق الاغتراب في رواية "مذكرات من وطن آخر " لأحمد طيباوي (دراسة من منظور النقد الثقافي)

مذكرة مكملة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين: **إشرافالأستاذة:**

ريمة بحاري**سامية بن دريس**

حسيبة بن صالح

لجنة المناقشة

الأستاذة: د/لطيفة قرور المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوفالصفة: رئيس	
الأستاذة: د/سامية بن دريس المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوفالصفة: مشرف ومقرر	
الأستاذة: د/حميدةسليوةالمركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف الصفة: مناقش	

السنة الجامعية:2021/2020

مقدمة:

مقدمة:

يعد الاغتراب ظاهرة إنسانية ضاربة في القدم، ساهمت في إنتاجها العديد من الأزمات التي تتخبط فيها المجتمعات على مر العصور، كما اكتسحت هذه الظاهرة جميع المجالات الاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية،فحظيت باهتمام الكثير من الفلاسفة والباحثين على اختلاف توجهاتهم. ويعدّ هذا المصطلح من المفاهيم التي يعتريها الكثير من اللبس والغموض، حيث اتصل غالباً بالتمرد، والانفصال،والهامشية، ليصبح تيمة في المتون الأدبية، والأعمال الروائية على وجه الخصوص.

طرأت على الحياة المعاصرة العديد من المتغيرات السياسية والثقافية والتكنولوجية وأخذت أزمة الاغتراب تتوسّع وتتعمّق أكثر فأكثر، وبحكم أن الأدب مرآةٌ تعكس قضايا وجوانب الصراع الإنساني في الوجود، وباعتبار أنّ الرواية الجزائرية مثل باقي هذه الإنتاجات الأدبية تُجسّد أزمة الإنسان المعاصر،اخترنا أن نبحث في رواية "مذكرات من وطن آخر" للكاتب أحمد طيباوي للكشف عن أنساق الاغتراب الكامنة فيها، فكان البحث تحتعنوان: " أنساق الاغتراب في رواية مذكرات من وطن آخرلأحمد طيباوي".

ولمقاربة الظاهرة المذكورة أعلاه اعتمدنا على إشكالية تتأسس على مجموعة من الأسئلة هي:ما مفهوم وماهي بالنسق؟ وماهي أنواعه؟ وما المقصود بالاغتراب؟ وكيف تمظهرت أنساقه في رواية "مذكرات من وطن آخر"؟

و قد دفعنا لاختيار وإنجاز هذا البحث رغبتنا في استكشاف قضية الاغتراب الغامضةمن خلال الدراسة والبحث في زواياها المختلفة؛ ولأن المدوّنة الروائية تفصح وتكشف عن وعي الأديب لما يدور حوله من مختلف القضايا، التي تخص الذات الإنسانية،هذا ما سهّل علينا عملية البحث،واستخراج مختلف أنساق الاغتراب الموجودة في الرواية ودراستها بكل موضوعية.

مقدمة:

و كذلك رغبتنا في البحث عنهذا الموضوع، بحكم أنّه جديد علينا،واهتماماً منّا بالنتاج الوطني الذي يعرف التهميش على حساب أدب المشرق العربي. إضافة إلى حبنا للاطلاع والمعرفة وتوسيع معارفنا العلمية، وكذلك الرغبة في اكتساب مهارة التحليل وطرق عرض الأفكار ومناقشتها، وذلك بالاعتماد على النقد الثقافي، والاستعانة بآليتي التحليل والوصف تماشياً مع طبيعة الموضوع المدروس.

ومن أهم الأهداف التي وضعناها لإنجاز هذا البحث، تعريفُ القارئ بهذه القضية المبهمة،ومحاولة تبسيطها بالاعتماد على طروحات الباحثين، وإفادته بكل ماتوصلنا إليه من معلومات. ومن المؤكد أنه لسنا أول من خاض غمار هذا الموضوع؛ فقد سبقتنا بعض الدراسات نذكر منها: مقال حمزة بوزيدي الموسوم ب:"مظاهر الاغتراب في رواية مذكرات من وطن آخر لأحمد طيباوي"، الصادر عن مجلة "لغة_كلام"، المجلد السابع، العدد الثالث في تاريخ 3جوان2021، بالإضافة إلى مقال جمعة برجوح تحت عنوان "النسق مفهومه وأقسامه" مجلة مقاليد، العدد 13، ديسمبر 2017، وكذلك كتاب "نقد ثقافي أم أدبي؟" لعبد الله محمد الغذّامي وعبد النبي اصطيف.

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا على خطة ممنهجة كالتالي:

تناولنا في الفصل الأول مفاهيمأساسية، حيث قدّمنا تعريفا للنسق من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ثم أشرنا إلى أنواعه، أي النسق المضمر والمعلن، ثم عرّجنا على مفهوم النقد والثقافة، وانتقلنا إلى الحديث عن مفهوم النقد الثقافي ونشأته، ثم فصّلنا في الفروق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي على ضوء ما قدمه الباحثان عبد النبي اصطيف وعبد الله الغدامي. وانتقلنا إلى موضوع الاغتراب فعرّفناه لغةً واصطلاحاً استناداً على تعريفات بعض الباحثين في البيئة العربية والغربية،ثم بيّنا مراحل عملية الاغتراب ومصادرها، لنصل في الأخير إلى تحديد أبعاد الاغتراب والفرق بينه وبين والغربة.

أما في الفصل التطبيقي فقمنا فيهبتحديد أنساق الاغتراب الكامنة في الرواية، معتمدين على ما قدمناه في الجانب النظري من مفاهيم، ودعّمناها بشواهد وأمثلة مستخرجة من المدونة الروائية؛ ليتضمّن الفصل مبحثين: المبحث الأول بعنوان الاغتراب الداخلي،ويندرج تحته

مقدمة:

الاغتراب النفسي والوجودي واللغوي، ثم الاغتراب المكاني، أما المبحث الثاني فبعنوان الاغتراب الخارجي، ويضم الاغتراب الاجتماعي، والاقتصادي،والسياسي والثقافي،وأخيرا خاتمة وهي عبارة عن حوصلة لكل ما تقدّم في البحث ورصد لأهم النتائج التي توصلنا إليها.

ومن أهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذه المذكرة:

_كتاب محمود رجب بعنوان الاغتراب سيرة مصطلح.

_النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية لعبد الله محمد الغدامي.

_نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي للزهر مساعدية.

_الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقعلحليم بركات.

وفي الأخير نتوجه بالشكر والاحترام للأستاذة المشرفة سامية بن دريس نظير مجهوداتها معنا ونتمنى لها المزيد من التقدم والنجاح.

الفصل الأول:

الاغتراب بين النظرية والنسق

تمهيد:

يعيش الانسان المعاصر حالة اغتراب، بسبب التحولات التي مست جوانب الحياة المختلفةوفرضتها العولمة، ناهيك عنمخلّفات ما بعد الحداثة، فضلا عن سيطرة المادة والآلة على حياته،ممّا جعله يعيش حالة من اللاتوازن، فطرح أسئلة تتعلق بموقفه منها.وهذا ما تجسّد في الإنتاجات الأدبية، كالروايةوالقصة والمسرحية، وغيرها من الأجناس الأدبية، باعتبارها خطابات تمرر أفكاراً بطريقة غير مباشرة. لهذا سنتناول في الفصل الأول مفهوم الاغتراب وأنساقه وتجلياتهفي الرواية على ضوء ما قدمه الباحثون والنقاد.

1 المبحث الأول: بين النقد الثقافي والنسق الثقافي:

تزايد الاهتمامبالنقد الثقافي، بحيث صار يمثل وجهةجديدة للنقاد والدارسين. ومعلوم أنّهذا النوع من النقد هو نتاج بيئة غربية، إذعدّ الأنساق جزءا جوهريا في النصوص بشتى أنواعها. ومن هنا نعمد إلى التّعريف بهذه المفاهيم الأساسية التي تمكننا من فهم ماهية النسق وأنواعه ثم النقد الثقافي والثقافة، مع إبراز الفروق الجوهرية بين النقد الأدبي والنقد الثقافي.

1.1.المطلب الأول:مفاهيم أساسية:

1.1.1 مفهوم النسق:

للإحاطة بمفهوم النسق يجب أن نتطرّق إليه لغة واصطلاحا حتى نستطيع إدراك ماهيته ودوره في النقد الثقافي:

أ. **لغة:** لابدّمن العودة إلى القواميس والمعاجم، حتى نستطيع تقديم مفهوم شامل للنسق:

فقد جاء في معجم العين:" النسق من كل شيء: ما كان على نظام واحد في الأشياء ونسَقْته نسقاً ونسّقتُه تنسيقاً ونقول انْتسَقت هذه الأشياء بعضُها إلى بعضٍ أي تنسّقتْ"[1]

كما وردت كلمة النسق في كتاب مقاييس اللغة: "النونُ والسينُ والقافُأصلصحيحٌ يدل على تتابعٍ في الشيءِ وكلامٌ نسقٌ:جاء على نظام واحدٍ قدعُطِفَ بعضُه على بعْضٍ.وأصلهُ قولهم:ثغرٌ نسقٌ، إذا كانت الأسنان متناسقةً متساويةً. وخرزٌ نسقٌ: منظمٌ".[2]

وعرّفه مراد وهبة في معجمه الفلسفي بأنّه:" مجموعة من القضايا المرتبة في نظام معين بعضها مقدمات ليبرهن عليها في النسق ذاته والبعض الآخر يكون نتائج مستنبطة من هذه المقدمات"[3].

ونلاحظ أنّ جلّ التعريفات اللغوية التي قُدّمت للنسق تصب في معاني التنظيم، والترتيب والتنسيقوالرصف التتابع.

[1]أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة الكويت، دط، ج5، 1980، ص81.

[2]أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دط، ج:5، ص420.

[3]مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دارقباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، ط5، 2007، ص646.

ب. اصطلاحا: قدّم عديد الدارسين تعريفات كثيرة للنسق نخص منها ما ذكره محمد عبد الله الغذامي الذي عدّه " بمثابة الوحدة النووية التي تدور حولها جميع أفلاك الدراسة فهو يتجاوز به المفهوم المرجعي الذي يحيل على البنية والنظام ولكنه لايقصد به الدلالة الجافة وإنما تميُّزه كمصطلح لايتم إلاّ من خلال الوظيفة".[1]

ومنه نستنتج أنّ النسق هو المركز الذي تتمحور حوله جميع الدراسات الثقافية، على خلاف ما كان سائداً بأنّ النسق يعني النظام بمفهومه الثابت وإنما هو مرتبط بوظيفة ما.

ويضيف الناقد: " يتحدّد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أحدهما ظاهر والآخر مضمراً، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر ويكون ذلك في نص واحد، أو ما هو في حكم النص الواحد، ويُشترط في النص أن يكون جماليا وأن يكون جماهيرياً"[2] ومنه يشترط الناقدفي وظيفة النسق أربعة شروط، تتمثّل في وجود نسقين متناقضينفي آن واحد، وفيالنص نفسه، إذ أن توافق هذين النسقين يُخرج الدراسة من مجال النقد الثقافي. كما اشترط الجمالية في النص، فهي على حد تعبير عبد الله الغذامي العباءة التي يتخفى تحتها النسق المضمر ويمر من خلالها، وأن يحظى النص بالشعبية والإقبال، فهو يقصي بذلك الرديء والمنتمي للنخبة.

[1] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط1 2000، ص11.

[2] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية، ص77.

أمّا جمعة برجوح فهي تعرّف النسق بقولها: " هو مجموعة من القوانين والقواعد العامة التي تتحكم في إنتاجه مجموعةٌ من الظروف الداخلية والمتعلّقة بالفرد، والظروف الخارجية المتعلقة بالمحيط الخارجي والبيئي".[1]

كما نستخلص من المفهوم، أنّ النسق مجموعة أسس وقوانين ومعايير عامة تضبط الإنتاج الأدبي للفرد وتمنحه القدرة على الابداع، كما أشارت برجوح أنّ النسق يشترك في تكوينه الظروف المحيطة بالعمل الأدبي، اجتماعية، ثقافية...، والظروف الخاصة بالمبدع.

ت.أنواع النسق: يمكن تقسيم الأنساق إلى نوعين:

- **النسق المضمر:**هو:" كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة".[2]

ومنههو كل معنى أو فكرة، هدفها بث فكر داخل الثقافة عن طريق ما هو جمالي في النصوص.

- **النسق الظاهر(المعلن)**:يفرّق عبد الله الغذامي بين النسق الظاهر والمضمر بقوله:

" نجدهما في كل نص أدبي وإن كان الفارق بينهما كبير، فالدلالة الصريحة جوهرية ومحددة ويندر أن يختلف فيها إنسان عن آخر. وتكفي فيها مجرد الأولية باللغة؛ بينما الدلالة الضمنية تحتاج إلى معرفة(ذوقية) في اللغة وأدبها كي يتمكن المرء من إدراكها".[3]

أشار الغذامي من خلال هذا القول إلى أن أي نص أدبي يحتوي على دلالتين، الأولى متخفية تحتاج إلى قراءة متعمقة للكشف عنها، في حين يوجد دلالة صريحة وظاهرة للعيان يستطيع أيقارئ أن يلمحها من خلالالقراءة الأولية، ولا يمكن لأي أحد أن يختلف فيها.

---

[1]جمعة برجوح: النسق مفهومه وأقسامه، مجلة مقاليد، العدد 13، ديسمبر،2017، ص56.

[2]سمير الخليل:دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1971ص292.

[3]. عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير" من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 1998، ص127.

1.1.2 مفهومالنقد:

النقد الأدبي هو:" فن تقويم وتقييم الأعمال الأدبية والفنية وتحليلها تحليلا قائما على أساس علمي؛ أي أنه كآلية إجرائية فحص علمي موضوعي جزئي أو شامل دقيق للنصوص الأدبيةوالفنية...".[1]

وعليه فإنّ النقد هو دراسة الأعمال الأدبية والفنية بالاعتماد على تحليل موضوعي بعيدا عن الذاتية، قصد إبراز قيمتها الجمالية وتصحيح ما يحول دون جودتها.

1.1.3 مفهوم الثقافة:

أ. **لغة:** جاء في لسان العرب:"ثقف الشيء ثقفاً وثقوفةٌ: حذقةٌ. ورجلٌ ثقفٌ، حاذقٌ فهمٌواتبعوه فقالوا ثقَفلثقفٍ...ويقالُ ثقفُ الشيء وهو سرعة التعلم".[2]

ب. اصطلاحا: تعددت مفاهيم الثقافة واختلف الدارسون في ضبط هذا المصطلح، فيما يلي نذكر منها:

أمّا في معجم المصطلحات الأدبية فهو:"خبر يُجمَعُ ويُحافظُ عليه وتتناقله المجتمعات الإنسانية؛ وتدرس الثقافة في تضمّنها للميثي والإيديولوجي كظاهرة تواصل، بحيث تكون درجة من الرقي السيميولوجي؛ هي علم أنماط الكودات، التي تحدد عينة سوسيوثقافية معينة.[3]

- أو هي: "مجموعة القيم والقواعد والأعراف والتقاليد والخطط التي تبدع وتنظم الدلالات العقلية والروحية والحسية"[4]

---

[1] ابراهيم الخليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان، الأردنط1، 2003، ص11.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة ثقف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص518.

[3] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، الدار البيضاء/ بيروت، ط11985ص57.

[4] معاشو بووشمة: الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي نسق القبيلة أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2019/2018، ص63.

من خلال المفهومين اللغوي والاصطلاحي، نخلص إلى أن الثقافة هي مجموع الأسس والقيم والتوجهات الفكرية والدينية والعادات والتقاليد الموروثة، والتي تختلف من مجتمع إلى آخر.

1.2 المبحث الثاني: النقد الثقافي النشأة والمفهوم:

1.2.1 المطلب الأول: الدراسات الثقافية:

نشأ النقد الثقافي والدراسات الثقافية في ستينيات القرن العشرين، وكان لريموند وليامزفي كتابه"الثقافة والمجتمع" وريتشارد هوغارت في كتابه "وظيفة الأدب" الفضل في ظهور أولى هذهالدراسات،حيث توجّه الناقدان في دراساتهما من خلال هذين الكتابين إلى دراسة ثقافة العموم وليس النخبة فقط، وهدف هذه الدراسات هوالتركيز على نقد التصنيف، الذي كان سائدا في الثقافة –نخبوية وعامية–والمناظرة الحقيقية حول الهوية الوطنية،إضافة إلى الدعوة إلى الفصل التام والقطيعة النهائية بين الدراسات الإنسانية والثقافية.[1]

يقول عبد القادر الرباعي:"أستند في جمعي النقد الثقافي إلى الدراسات الثقافية لرأي المؤلف نفسه،فهو لا يفرقبينهما في طرح الأجندات الأساسية؛إذ يقول:"لقد بدأت الدراسات الثقافية أو النقد الثقافي الماركسي في عصر العوالم الثلاثة "أي الرأسماليوالاشتراكي، والنامي" من فهم السياسات الثقافية من أعلى(...)عبر مداخلات ثقافية(...)

إلى عمليات إعادة الإنتاج والهيمنة والأجهزة الإيديولوجيةللدولة والضبط، وتكوين الذاتوالإمبريالية الثقافية وتمثل البديل الرئيسي لدى اليسار الجديد(...)".[2]

ومنه يعتبرعبد القادر الرباعي أنّ الدراسات الثقافية شاملة لثقافة النخبة، مؤّيدابذلك مايكلديكينغفيما جاء في كتابه"الثقافة في عصر العوالم الثلاثة"، إذ يعتبر الأنساق الثقافية، التي هي_ كما ورد سابقا_ محور الدراسات الثقافية أنها مرادفة للدراسات الدالة أو ممارسات الخطاب،والتي تكون في مختلف أشكال التعبير البشري طالما نبعت من خلفية معرفية ما، فالأفلام السينمائية والإعلانات والبلاغات الحكومية والجنسوية وغيرها هي موضوع هذه الدراسات.

---

[1] عبد القادر الرباعي: جماليات الخطاب في النقد الثقافي رؤية جدلية جديدة، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2005 ص199.

[2] المرجع نفسه، ص200.

ويؤيد آرثر أيزبرجركذلك هذا الطرح فيقول:"إنّ النقد الثقافي هو نشاط وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته،فقد استخدم نقاده المفاهيم التي قدَّمتها المدارس الفلسفية والاجتماعيةوالنفسية والسياسية (...)وعند تطبيقها على الفنون الراقية والثقافة الشعبية، يقومون بكشف الطاقات والأنظمة الثقافية والإشكاليات الإيديولوجية وأساليب الهيمنة والسيطرة المتضمنة في النصوص".[1]

لقد عدد الغذامي مجموعة من الجهود، التي كانت الخلفية الفكرية والمعرفية التي مهّدت لظهور الدراسات الثقافية،ومنها أُطروحة القول الأدبي كعمل لريتشارد، والتحول من العمل إلى النص لرولان بارث، وكذلك إسهام ميشال فوكو في نقل الرؤية من النص إلى الخطاب، فأصبح الاهتمام نحو(فعل) الخطاب وتحولاته النسقية بدل الوقوف على الحقيقة الجوهرية والتاريخية أو الجمالية للنصوص(...)والتي أدّت بالدراسات النقدية لمرحلة جديدة مابعد نقدية مُؤسسة للنقد الثقافي ،لأنّ النظرة الجمالية للنصوص أصبحت محدودة على حد تعبيره وتغفل الجوانب الأخرى فيها.[2]

كما أخذ بعين الاعتبار نظرية الهيمنة لقرامشي الذي أورد فيها أن: "السيطرة لا تتم بسبب قوة المسيطر فحسب، ولكنها أيضا تتمكن منا بسبب قدرتها على جعلنا نقبل بها..."[3]ويقول أيضا: "هذا الالتزام المبدئي حرم النقد من القدرة على معرفة عيوب الخطاب، ومن ملاحظة ألاعيب المؤسسة الثقافية وحيلها في خلق حالة من التدجين والترويض العقلي والذوقي لدى مستهلكي الثقافة"، فالنظرة الجمالية للخطاب فرضتها المؤسسة الثقافية لتمرير مختلف الجوانب الأخرى المتضمنة في الخطاب.

وقد تمكنقرامشي، حسب يوسف عليمات من خلال نظرية الهيمنة، من تفكيك بنية الفكر والمجتمع الغربيين،بقراءاته الفاحصة للنماذج المؤسساتية والطبقية الماثلة في الثقافة

---

[1] ينظر آرثر أيزبرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء ابراهيم ورمضان بسطاويسي المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص30، 31.

[2] ينظر عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص14.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص18.

الغربية، والذي كان هدفها تحديد مواقع الهيمنة المتفاوتة في المجتمع الغربي والتي فرضت أفكارها وفلسفتها لتحقيق مصالحها الخاصة.[1]

[1]ينظريوسف محمود عليمات: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيععمان الأردن ط1، 2015، ص14.

1.2.2 المطلب الثاني: مفهوم النقد الثقافي:

هو: "فرع من فروع النقد النصوصي العام، من ثمّ فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية المضمرة التي ينضوي تحتها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، وما هو غير رسمي وغير مؤسساتي، وما هو كذلك سواء بسواء".[1]

يُعبّر هذا القول عن رؤية عبد الله الغذامي الخاصة للنقد الثقافي، حيث يراه أحد العلوم اللغوية لأنه ينطلق من اللغة كباقي المناهج النصوصية، لكنه يعتبر النص خطابا مهمةُ الناقد فيه هي البحث عن الأنساق المضمرة، والتي هي نواة وأساس النص مع عدم التمييز بين النص المنتمي للهامش أو النخبة.

يستحضر الغذامي تعريف ليتش للنقد الثقافي، الذي يرى أن النص عبارة عن خطاب يستخدم في تحليله العديد من النظريات من مختلف العلوم، مع عدم التخلي عن آليات النقد الأدبي في التحليل، فيقول: "...حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب ولكنه أيضا تغيير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي..."[2].

[1] المرجع السابق، ص165.

[2] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص31، 32.

1.2.3المطلب الثالث: بين النقد الأدبي والنقد الثقافي:

ظهر النقد بعد ظهور الأدب فازدهاره مرهون بجودة الأدب وقوة الأعمال الأدبية، وقد كان في العصر الجاهلي ذو طبيعة تأثرية انطباعية ثم أخذ يتطور بعدما أُدخلت عليه العديد من المعايير والآليات، لكن سرعان ما ظهر نقدٌ جديدٌ يشتغل ويبحث عن الظواهر التي عجز النقد الأدبي عن تفسيرها.

لهذا سنحاول تقديم أهم الفروق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي على ضوء رؤى النقاد وطروحاتهم؛ حيث نجد أنّالغدامي يتبنى مشروع النقد الثقافي ويجعله خليفاً للنقد الأدبي فيقول:" لقد آن الأوان لكي نبحث عن العيوب النسقية للشخصية العربية المتشعرنة والتي يحملها ديوان العرب ذو تجلي في سلوكنا الاجتماعي والثقافي بعامة، لقد أدى النقد الأدبي دورا هاما في الوقوف على جماليات النصوص وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي"[1].

وعليه فهويعلن صراحة انتهاء وموت النقد الأدبي، لأنه كان طوال القرون الماضية يبحث في الجوانب الجمالية في الأعمال الأدبية، غافلاً عن فكرة أن يكون لهذا النص أنساقاً مضمرة، هي السبب الرئيس في تجلي النصوص، والتي تختفي وراء قناع الجمالية السطحية ورؤية الغذامي لم يقصد بها إحداث قطيعة مع النقد الأدبي إنمايعيد تجديده وإحيائه بواسطة النقد الثقافي.

أما عبد النبي اصطيف فقد تناول هو الآخر مسألة العلاقة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي في كتاب "نقد ثقافي أم أدبي"، حيث ذكر فيه: "إن لكل من النقد الأدبي، والنقد الثقافي شأن

[1]عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص7، 8.

يغنيه ولا يغني أي منهما عن الآخر والمسألة هي في صدور أي نظام أدبي منشود يتجسد في نظرية أدبية أو نقدية، عن الإنتاج الخاص".[1]

نستنتج من هذا القول أنّ لكل منالنقد الثقافي والأدبي مجاله الخاص، الذي يبحث فيه، لكن مع هذا توجد قواسم مشتركة ونقاط يتداخلان فيها، لأنه لا يمكن أن نقرأ النص الأدبي جمالياً فقط، بل يجب –حسبرؤيتنا–أن نزاوج بين البحث عن جماليات النص والأنساق المستترة تحت هذه الأخيرة، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نلغي عنصر الجمالية، لأن هذا الأمر يترتب عنه إلغاء روح النصوص وأصحابها والحطّ من قيمتهما معا.

وذهبالناقد الفلسطيني عزالدين المناصرة مُقدماً وجهة نظره حول هذه القضية إذ يقول عنه علي صليبي في كتابه "الشاعر العربي الحديث ناقداً": "بحكم اشتغاله على النقد الأدبي وتخصصه الأكاديمي في النقد المقارن إنّ النقد الثقافي لا يلغي النقد الأدبي ومثلما توجد بعض الفروقات النظرية والإجرائية بين النقدين فإنّتماثلات كبيرة يمكن أن نضعها في سلة نقدية ومعرفية واحدة"[2].

ويتضح أن عزالدين المناصرة، ليس من دعاة موت النقد الأدبي فهو يؤكد على أن لكل منهما أوجه اختلاف من النواحي الآلية والإجرائية، لكن هذا لا يعني غياب نقاط تشابه بينهما فكلاهما يتّمم الآخر.

---

[1] عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم أدبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، ماي 2004 ص71.

[2] علي صليبي مجيد المرسومي: الشاعر العربي الحديث ناقدا" نقد الفكر، النقد الثقافي، النقد الجمالي"، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص141.

1.3المبحث الثالث: مفهوم الاغتراب عند العرب والغرب:

الاغتراب ظاهرة وُجدت منذ القدم، عايشها الإنسان البدائي والمعاصر بدرجات متفاوتة. وقد قدّم العديد من الفلاسفة والدارسين على اختلاف توجهاتهم آراءهم حول هذا المصطلح والذي يتسم بالغموض، فحاولنا الإلمام بمختلف هذه المفاهيم، في البيئتين العربية والغربية منذ تبلوره كفكرة.

1.3.1المطلب الأول:مفهوم الاغتراب:

أ. لغة:

وردت كلمة الاغتراب في القواميس والمعاجم العربية على اختلافها منها:

- ورد في لسان العرب: "أغرب القوم: انتووا والغرباء هم الأباعد والغريب: الغامض من الكلام. والاغتراب هو الابتعاد عن الوطن، واغترب الرجل: نكح في الغرائب وتزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث النبوي الشريف قال النبي صلى الله عليه وسلم:"اغتربوا ولا تضووا، أي لا يتزوج الرجل القرابة. وغواريب الماء أعاليه،والغرابيب شديد السواد"[1].
- أما في معجم الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيةللجوهري ورد أن: "التغريب: النفي والإبعاد عن البلد، مشيرا إلى الحديث الذي أمر بتغريب الزاني منه إذا لم يحصّن"[2].

نستنتج من هذا أن كلمة الاغتراب كانت تدل منذ القدم على خروج الفرد وابتعاده عن المكان الذي اعتاد العيش فيه بمحض إرادته، كما تدل على الغريب من الكلام الغير مألوف.

---

[1] جمال الدين أبو الفضل بن منظور: لسان العرب، مادة: غرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، دط، ج:1 2005،ص639 ،649.

[2] اسماعيل بن حمّاد الجوهري: معجم الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، ج1، 1979، ص1991.

- أما في مقاييس اللغة:فجاء في مادة (غرب): "الغينُ والراءُ والباءُ أصلٌ صحيحٌ وكلمة غير منساقة لكنها متجانسة. يقول الغرب حدُ الشيءِ، هذا غربُ السيفِ.ويقولون: كففت من غربته. أي أكللت حده والغربة البعدُ عن الوطن يقال غرّبتُ الدّار"[1].

يتبين من هذا التعريف أنّ كلمة الاغتراب تعني الحد ونهاية الشيء والبعد والاغتراب عن الوطن.

وبهذا نجد أنّ المعنى اللغوي للاغتراب يتمركز حول البعد والخروج عن الوطن والأهل.

ب.اصطلاحا:

لقد قادتنا التعاريف اللغوية التي ذكرناها سابقاً إلى ضرورة الاستعانة بالتعاريف الاصطلاحية كذلك من أجل رصد معنى الاغتراب ومفهومه:

- **عند العرب:**

ويعرّفه لزهر مساعدية بقوله:" حالةٌ نفسيةٌ يشعر فيها الانسان بالانفصال _من خلالها_ عن أفراد المجتمع وعدم التواؤم والانسجام والتوافق معهم والشعور بالعزلة وسط الأفراد لعدم القدرة على التكيف معهم أو الانفصال عن الذات"[2].

يشير هذا التعريف إلى أنّ الاغتراب مرتبط بحالة انفصال الفرد عن الجماعة، مما يخلق حاجزاً يمنعه من ممارسة حياته الاجتماعية بشكل طبيعي بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه، كما يخلق غربةً أو انفصالاً عن نفسه.

ويعرفه قيس النوري بقوله:" تصدع ذات الفرد أو انشقاقها نتيجة عدم تواؤمها مع المجتمع أو العالم المحيط بها"[3].

---

[1]الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، ج4 ص420 ،421.

[2]لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة الجزائردط، 2013، ص64، 65.

[3]قيس النوري: الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، مجلد10، عدد1، 1979، ص114.

فقد ربط قيس النوري الاغتراب بالجانب النفسي وأشار إلى أنه عبارة عن تشظي ذات الفرد، الناتجة عن عدم قدرته على الاندماج مع الآخرين وتقوقعه على ذاته.

أمّا جديدي زليخة فرأت أن الاغتراب:" هو الحالة التي يتعرّض فيها الإنسان إلى الضعف والعجز والانهيار في الشخصية، إلى جانب إحساسه بالانفصال عن المجتمع والانسلاخ عن الثقافة الاجتماعية السائدة فيه"[1].

وبهذا نجد أنّ هذاالتعريف متقارب مع التعاريف المقدمة سابقاً للاغترابلكنّه يضيف الكيفية التي يتمظهر من خلالها هذا الأخير، في العجز والضعف والانهيار.

- **عند الغرب:**

اختلف مفهوم الاغتراب ومعناه في الثقافة الغربية،باختلاف الحقب التاريخية، فقد كان معناها في العصور الوسطى ينحصر في ثلاثة معاني، حسب السياق الذي وردت فيه حيث تعني في القانون "انفصال" الملكية عن صاحبها إلى شخص آخر، أما في السياق النفسي والاجتماعي فتعني انفصال الإنسان عن ذاته ومخالفة المتعارف عليه. وفي الدين تعني الانفصال عن الله.

أمّا في العصر الحديث فقد تزعمه جون جاك روسو، الذي انطلق من نظرية العقد الاجتماعي لهوبز ولوك، اللذين أرجعا قيام المجتمعات إلى انفصال الناس عن نمط العيش الأول،وركوب موجة عصر التنوير بما حملته من تطور معرفي. وبهذا أصبح للاغتراب معنى إيجابي من منظور الداعمين للتقدم والتحديث ومعنى سلبي من منظور المتشبثين بالتخلف والرجعية، لكن مع مجيء تيارات الفلسفة المعاصرة المختلفة أُلغيت النظرة المزدوجة للاغتراب وأصبح له معنى سلبي فقط[2].

[1] جديدي زليخة: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد8، 2012، ص349.

[2] ينظرمحمود رجب: ينظر الاغتراب "سيرة مصطلح"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3 ،1988، ص10، 16.

وقد أجرى أنتوني ديفيدز: سنة 1955 بحثاًميدانياً بجامعة هارفرد، فوجد أن للاغتراب خمسة توجهات وهي: التركيز على الذاتية،وعدم الثقة،والتشاؤم، والقلق والاستياء،حيث فسر هذه المفارقة في التعاريف بسبب غموض مفهوم الاغتراب.

في حين حدّد عالم الاجتماع الأمريكي ملفين مفهوم الاغتراب بخمسة تسميات مختلفة: العجز، فقدان المعايير، غياب المعاني،اللانتماء، والاغتراب الذاتي[1].

أمّا هيجل فعرّف الاغتراب: على أنه فقدان السيطرة على الأشياء التي هي من صنعه الخاص مما يخلق صراعاً تمثّل في اغتراب العقل أو الروح.[2]

بينما حصرهكارل ماركس في الاغتراب الاقتصادي، على أنه أصل جميع أنواع الاغتراب الأُخرى، ذلك أنّ اغتراب العامل عن موضوع عمله أمر حتمي، وكلما ازدادت قوة وكمال وقيمة الإنتاج كلما انعكس ذلك سلباً على العامل، فيُرجع اغتراب المنتج عن العامل لانفصاله عنه ليصبح ملكشخص آخر وتحت تصرفه الخاص، كما أنّ العامل مجبر على الالتزامبقوانين السوق ومتطلباتها مقابل أجر فتسلب حريته الإبداعية، فيُنتج سلعا لا يرغب في إنتاجها في ظروف خارجة عن إرادته.[3]

وخالف ماكس فيبر رأي ماركس؛ حيث رأى أن العجز يشمل جميع أفراد المجتمع على اختلافهم ولا يقتصر على العاملين فقط، فهم كذللك لا يسيطرون على وسائلهم ومنتجاتهم، فالجندي لا يسيطر على العنف في الحروب، والباحث ملزم بمواضيع يفرضها مركز الأبحاث، وبهذا فهو عاجز اتجاه موضوعه وغايته ونتائجه،والمواطن عاجز اتجاه الدولة وقوانينها.[4]

---

[1]حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، ط1 ،2006، ص36.

[2]محمود رجب: الاغتراب "سيرة مصطلح"، ص12.

[3]يحي عبد الله: الاغتراب "دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 2005، ص113.

[4]حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع، ص42.

وناقش إيميل دوركهايم عالم الاجتماع الفرنسي فكرة الاغتراب، فأشار إلى أنها ناشئة عن تفكك وانسلاخ القيم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية داخل المجتمع، والتي من شأنها أن تحقق الانسجام والتماسك داخله، فغياب هذه المعايير يؤدّي الى تمجيد الفرد والأنانية والمنافسة غير المتكافئة، والتي تحدث بطريقة غير شرعية نتيجة الطمع والجشع الفرديممّا يحدث حالة من التعدي على الآخر، وبالتالي شعوره بالاغتراب لا ينجم عن عدم قدرته على سد حاجاته بل بسبب هذا التعدي الحاصل.[1]

أمّا الفلاسفةالوجوديونفقد اعتبروا أن الاغتراب مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحرية الفرد وإنسانيته وجوهر وجوده فهو حين يُجرّد منها يصبح وجوده غير حقيقي وزائفاً، وقد دافعوا عن حرية الفرد أياً كان انتماؤه الطبقي، واعتبروا التكنولوجيا من الأسباب التي تسلب الإنسان حريته وإنسانيته، بسبب الآثار المدمرة التي تخلفها، على خلاف ما رآه ماركس بأنها قوة لتحرير الإنسان وتوافقه مع الطبيعة[2].

هذا وتبلورت فكرة الاغتراب في الحياة الثقافية، في أربعينات وخمسينات القرن العشرين وقد برز مجموعة من المفكرين المعاصرين الذين اهتموا بها كماركيوزوفروموهابرماس وملز ونِسبت، واعتبروه وسيلة لكشف وتفسير ونقد الآفات التي انتشرت في المجتمع المعاصر وعايشوها في مجتمعاتهم، كلٌ حسب منطلقاته ورؤيته، والتي سببها غياب الحرية والعقل في الفرد والمجتمع.[3]

[1] حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، ص43 ،44.

[2] محمود رجب: الاغتراب "سيرة مصطلح"، ص18.

[3] المرجع نفسه، ص19،20.

1.3.2المطلب الثاني: عملية الاغتراب ومراحلها:

يمرّ الاغتراب بمجموعة من المراحل قبل التبلور النهائي، حيث يظهر في عدة أشكال هي:

- التجزئة والتفتت الاجتماعي.
- هيمنة الدولة على المجتمع: أزمة المجتمع المدني.
- تسلّط الأنظمة الاجتماعية القسرية: النظام الأبوي وهيمنة المؤسسات الدينية.
- الاستغلال الطبقي والظلم والحرمان والقهر ووجود فجوات عميقة بين الضعفاء والفقراء من ناحية والأقوياء والأغنياء من ناحية أخرى.
- طقوسية الماضوية وثباتها: الصراع بين القديم والجديد.
- مرحلة تجربة اقتراب الإنسان على صعيد الوعي الذاتي وفي علاقاته بالمجتمع ومؤسساته.
- مرحلة نتائج الاغتراب السلوكية بدائل الانسحاب أو العزلة والخضوع والتمرد أو الثورة في سبيل تغيير الواقع.[1]

1.3.3 المطلب الثالث: مصادر الاغتراب:

أورد حليم بركات في كتابه "الاغتراب في الثقافة العربية ومتاهات الانسان بين الحلم والواقع"، مرجعيات أو مصادر الاغتراب وأحصاها فيما يلي:

أ. التفتت الاجتماعي والتجزئة القومية:

إنّ سيطرة واقع الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعاني ركودا داخليا وخارجيا، داخل المجتمعات أدى إلى تأزم وتفاقم المشاكل الداخلية، وأصبح المجتمع عاجزاً فلم تعد لديه قوة التحكم في موارده وعلاقاته الداخلية والخارجية، فأصبح مفتقراً للقدرة على تجاوز هذه الأوضاع، وإعادة تشكيل واقع جديد، وهذا الأمر ينعكس بشكل مباشر على الفرد داخل هذا المجتمع الذي هو الآخرلا يستطيع احتمال هذا الوضع، كما أنه لا يبحث عن أي فرصة من أجل خلق حلم أو الوصول إليه.[2]

---

[1]محمود رجب: سيرة مصطلح، ص60.

[2]محمود رجب: سيرة مصطلح، ص69، 72.

ب. ظاهرة التبعية:

التبعية بصفة عامة هي خضوع البلدان الضعيفة في جوانبها السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية إلى بلدان أخرى، وغالباً ما تكون بين المستعمر والمستعمرات التي بسط عليها سيطرته أثناء فترة الاحتلال، أو خضوع الدول المتخلفة إلى الدول التي تتحكم في التكنولوجيا والعلم، وهذا ما خلق هوة أو فجوة بين دول العالم، فنشأت دول الهامش ودول المركز. وتجلّتالتبعية في الوطن العربي في عجز دول العالم العربي علىالتحكم في الموارد والثروات التي يمتلكها، وهذا ما أدى إلى تفاقم الفجوة بينه وبين الغرب المتقدموالذي قام باستغلال دول العربية، وتفنن في تسليط أشكال القهر والإذلال.[1]

ت. سلطوية الأنظمة على المجتمع:

السلطوية ترادف مصطلح الهيمنة، ويعني "الرقابة الصارمة التي يفرضها فرد، أو شعب أو مؤسسة أو غير ذلك ما عداه لتحقيق مصلحة المتسلط أو الرقيب" [2]،وتعّد سلطوية الأنظمة على المجتمع من بين مصادر الاغتراب التي أشار إليه حليم بركات: " وتتجسّد هذه الهيمنة فيما يعرف بالاغتراب السياسي؛ فتأخذ الدولة أو المؤسسة الحاكمة زمام الأمور ممارسةً كل أشكال التعسّف في حق المواطنين والشعب، وهذا ما يؤذي الى تهميش حقوقهم وهنا يتعطل دور الفرد وتقلّفعاليته داخل المجتمع، فأصبح يعاني من العجز والاستلاب وعدم القدرة على تحقيق الأحلام والطموحات".[3]

1.3.4المطلب الرابع: الفرق بين الغربة والاغتراب:

" الجذر اللغوي لمفهوم الغربة والاغتراب واحد، لكن ثمة فروق واضحة بين المفهومين (...) فالغُربة يصاحبها الحنين إذ أنّ الغربة تولّد الحنين، فالإنسان عندما يشعر بغربته يحن إلى

[1] المرجع نفسه، ص72، 75.

[2] سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص324.

[3] حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية ومتاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص 76، 77.

أهله وأحبابه، وقد يشعر الإنسان بالحنين والحبيبُ قريب، لكنه لا يشعر بالاغتراب فإن أحس بالغربة معه فذلك هو الاغتراب الذي لا يرتبط بحنين وقد يسبق الحنينُ الغربة ".[1]

1.3.5المطلبالخامس: أبعاد الاغتراب:

للاغتراب خمسة أبعاد عدّدها عالم الاجتماع ملفين سيمان سنة 1955:

أ.العجز: powerlessness:

وهو عدم تمكن الإنسان من التحكم في تصرفاته، وعدم مقدرته على خلق تأثير فعلي في المجتمع الذي ينتسب إليه، وبذلك فدوره غائب تماما فيما يجري من أحداث ومتغيرات حوله ولا يمتلك أدنى إمكانية على اتخاذ قرارات مصيرية.

ب. فقدان المعنى meaninglessness:

ويقصد به إحساس الإنسان بالاغتراب اتجاه الحياة فتراها بلا فائدة ولا جدوى، ولا يستطيع فهم كنهها.

ت. فقدان المعايير formlessness:

ويطلق عليه أيضا اللامعيارية،ويقصد به إحساس الإنسان بأن ما يمتلك من أدوات ووسائل غير قانونية، وغير المشروعة والمحرمة بموجب المعاهدات والاتفاقيات الدولية ضرورية للوصول لأهدافه وغاياته الخاصة، ولو على حساب هذه القوانين والمبادئ.

ث.الانعزال isolation:

يقصد به إحساس الفرد بعدم القدرة على التعامل والتكيف مع من حوله من باقي أفراد المجتمع، والذي هو في الأصل كائن اجتماعي لا يستطيع العيش وحده.

[1] أحمد علي الفلاحي:الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، دط، 2013، ص14.

ج. الاغتراب ال ذاتيestrangement self:

فقدان الفرد التواصل الداخلي مع نفسه وهو كذلك عجز الإنسان عن القيام بأنشطة وممارسات عملية تمكنه من الوصول إلى أحلامه.[1]

الفصل الثاني:

[1] ريموند وليامز: الكلمات المفاتيح (معجم ثقافي ومجتمعي): تر: نعيمان عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005 ص55.

تجليات نسق الاغتراب في رواية مذكرات من وطن آخر

بعدما تطرّقنافي الجانب النظري الى أمور تتعلّق بضبط المفاهيم والمصطلحات،التي ترتبطبالنسق وأنواعه والاغتراب كمفهوم وكنظرية عند العرب والغرب، نأتي الى الفصل التطبيقي الذي سنقوم فيه بعملية إسقاط لأنساق الاغتراب على رواية "مذكرات منوطن آخر" لأحمد طيباوي، بحيث سنسلّط الضوء على هذه الأنساق بتقديم شواهد ونماذج، انطلاقاً من المدونة محل الدراسة مع الشرح والتحليل. وفي هذا المقام يقول حمزة بوزيدي عن مظاهر الاغتراب في الرواية: "اشتغل الاغتراب وفق مظاهره المتعددة على نحو تكاملي انطلاقاً من مبدأ السبب والنتيجة؛ فالاغتراب النفسي دافع للاغتراب الاجتماعي، وهذا الأخير من بين أسباب التمرد والاغتراب السياسي(...) كلّها محفز رئيسي للهجرة والبحث عن فضاء جديد لترميم الذات".[1]

2.1المبحث الأول:الاغترابالدّاخلي:

2.1.1المطلب الأول:الاغتراب النفسي:

الاغتراب أنواع متعددة تتولّدمن مثيرات متنوعة،فالنّفس البشريةتعاني مشاكل وأزمات تؤرق كيانها الداخلي، نتيجة لعدم تمكّنها من تحقيق ذاتها في المجتمع، ممّا يجعلها تنأى بنفسها لتعيش حالة العجز والقهر والشعور بعدم الانتماء لكل مايحيط بها،فهو: "يتعلّق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غربة في العالم وفتور أوجفاء في علاقته بالآخرين".[2]

ونستخلص من هذا التعريف الذي قدّمه محمد رجب أن الاغتراب في حقل علم النفس ماهو إلاّ نتاجلحالات الجفاء التي يحس بها الإنسان فيعلاقاته بمن حوله،وكذلك يرجعإلى فقدانه لتوازنه النفسي والعقلي عندها يدخل في حالة الاغتراب عن ذاته وعن الآخرين. ومن تمثلات نسق الاغتراب النفسي في الرواية،ماقاله علاوة معلّقاً على سفر صديقه "مصطفى"فيقول: "أراحني سفرك القريب عسى أن تجد نفسك في مكان آخر من العالم .. إذ كان البقاء يعني

[1] حمزة بوزيدي: مظاهر الاغتراب في رواية "مذكرات من وطن آخر" لأحمد طيباوي، مجلة(لغة–كلام)، غليزان، الجزائر مجّلد7، عدد3، 5جوان 2021، ص456.

[2] الاغتراب سيرة المصطلح: محمود رجب، دار المعارف، ص 35.

لك الانحدار المعنوي الأكيد الى قاع الإحباط بل الاكتئابالذي كنت مهيئاً له لأكثر من سبب"[1]، هذه الشخصية تعاني اغتراباً نفسياً، وتحاولإيجاد ذاتها خارج الجزائرلأنّها لم تجد المؤهلات اللازمة فيها،مماجعلها تغرق في غربة نفسية أدت بهاإلى الهجرة إلى فرنسا،وهي هنا شخصيةباحثة عن ذاتها من أجل رد الاعتبار لنفسها، إذ هي شخصية:" تتأمل ماضيها وحاضرها محاولة شق الطريق نحو المستقبل مكتشفة أنّ الحياة صراع لا مكان للحياد فيه "[2]. وقدأخذ اغترابه منحىإيجابياً تجلى في محاولة البحث عن فرص جديدةمن أجل استثمارها، فيتأمّل ماضيه وحاضره بقدر من الوعي والنضوج،هذا ما أدى به إلى اختيار المواجهة بدل الهروب من واقعه.

كما وجدنا الحوار الذي دار بين "مصطفى"و"علاوة" يجسّد حالة الاغتراب النفسي التي يعيشها صديقه، إذ طرح عليه سؤالاًعمّاإذا تعرّف على أشخاص جدد في فرنسايستطيعون انتشاله من غربته فيقول: "ألم تلتق بمن ينسيك غربتك؟ أجبتنيبحسن نية أوبلؤم(...) لم أتبين جيدا أيأًمنهما: غربتي تنبعُ من داخلي(...)ليس ممّاأو ممن يحيطون بي"[3]، ويفصح هذا المثال عن نوع الغربة التي تؤرّق مصطفى ألا وهي الاغتراب النفسي أوالذاتي، فهو يحسّ بعدم الرضا عن نفسه وأنّه منفصل عن ذاته، فلا دخل لمن حوله فيما يعانيه.وفي نفس السياق نجد شخصية"علاوة"_تعانيبدورها_من اغتراب نفسي و يبدو ذلك في قوله: "أحاولأن أهرب منك من ابتسام بل من نفسي فأمضي لأضطرب في الشوارع بلا غاية"،[4]حيث تعيش هذه الشخصية حالة من العجز وعدم تقبل الوضع الجديد الذي تعيش فيه، بعدما سافر صديقه، وحمل زوجته المهددة بالإجهاض بسبب مضاعفات الحمل، هذا ماجعله يتخبّط في أزمات نفسية أدت به إلى حالة اغتراب نفسي فأصبح يلجأإلى الهروب من واقعهبالانغلاق على ذاته، بدل المواجهة كما يفعل "مصطفى"،فهو بذلك شخصية هاربة من ذاتها، هذه الأخيرة يعرّفهايحي العبد الله إذ

[1]أحمد طيباوي: مذكرات من وطن آخر، منشورات ضفاف، بيروت، والاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص18.

[2]يحي العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص40.

[3]أحمد طيباوي: مذكرات من وطن آخر، ص129.

[4]المصدر نفسه، ص115.

يقول:"الشخصية الهاربة من ذاتها إلى ظروف حياتها اللاإنسانية وإلى اغترابها عن ذاتها لكنحركتها وقفت عند حد المعرفة والهرب من مواجهة الواقع والذات".[1]ونستنتج من هذا التعريف أن الشخصية الهاربة من نفسها هي التي تعاني القهر والحرمان وظروفلا إنسانية،سواءً فيماضيها أو حاضرهاهذا ماقادها إلى الاغتراب والعزلة،بالإضافة إلىأنّموقف هذه الشخصية يقف عند حدود معرفتها بوضعها دون أن تتّخذ أي قرار لتغييره أوتجاوزه، وبقيت تعيش في داومةالعجز والاعتمادعلى الهرب كحل بديل.

[1]يحي العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص115.

2.1.2المطلب الثاني: الاغتراب الوجودي:

ذهب الفلاسفة الوجوديونللقول بأنّ الاغتراب نوع من الوجود الزائف، لذلك يجب على الإنسان الذي يحس به أن يقهره،كما تحدثوا عن التكنولوجيا وتطور حياة الإنسان المعاصر فهذه الأمورقادته إلى هذا النوع من الاغترابالذيسلبه الحرية والإرادة في تغييرمصيره.

ومن تجليات هذا الاغتراب فقدان المغزى؛ ونقصد به رؤية الفرد أن الحياة عديمة الجدوى ولا معنى لها وأن مايحيط به لا قيمة له، ويحل هذا الاغتراب متى ذابت الذات الفردية في ذات الجماعة، لذلك نرى جون ما كوري يقول: "إن الذات عند الفيلسوف الوجودي هي الموجود في نطاق تواجده الكامل فهذا الموجود ليس ذاتاً مفكرة فحسب وإنما هو الذات التي تأخذ المبادرة في الفعل وتكون مركزاً للشعور والوجدان." [1]و لذلك يتّضح لنا أن الوجود الانساني يتحقق متى كان للفرد القدرة على التفكير والفعل بكل حرية بعيداً عن القيود التي تكبح إرادته.

أدرج الروائي في نصه الإبداعي العديد من النماذج ذات الطابع الوجودي،كالإجابة التي قدّمها"مصطفى""لعلاوة"؛إذ يقول:"وفاجأتني في نفس تلك الزيارة بقولك لي في الأخير وأنت تلخّص لي سقوطك: أنا صنيعة القدر.هل كنت تمارس ردّتك الأخيرة أم كنت تبرر وليس من عادتك التبرير؟أين أعثر عليك وسط عتمة ضياعك؟!".[2]

وصف مصطفى نفسه في هذا المثال بأنّه "ضحية للقدر"، الذي لم يمنحه فرصةً لتحقيق ذاته، فهو لايريد أن تسير حياته على هذه الشاكلة،وتحملُ عبارة "أنا صنيعة القدر" دلالة نسقية توحي بالصراع الذي يعيشه مع قدره، وأنّ محاولاته في أن يحيا حياةً كما يريد تنتهي بالفشل في كل مرّة، وكلُّ ماوصل إليه حتى الآن هو من تخطيط القدرلا من قرارته هو؛ هذا ماجعله مسلوب الإرادة عاجزاً عن تغيير مجريات حياته، ليواصل بطلُالرواية "مصطفى" الضياع في غربته الوجودية،فيتحدّثُ عنه صديقهُبقوله: "أنظر من بعيد إلىماظهر من شرفةٍ احتضنتك كما

[1]جون ما كوري :الوجودية، تر: أمام عبد الفتاح أمام، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت دط، 1978، ص217 .

[2] الرواية، ص14.

لم يحتضنك الآخرون، كنت تتّخذها مجلساً ليلياً تسامر فيه الوحدة وتطل منه على الشارع الهادئ وهو يتحفز ليبدأ دورة الحياة والسكون.حتى الشوارع وجدت بداياتها..فمن أين أبدأك يا صديقي ما أصعب البدايات؟"[1]، هنا يسرد "علاوة" ليالي صديقه التي يقضيها على شرفة منزله يسامر فيها يأسه ووحدته، وتدل لفظة "شرفة احتضنتك "على مغزى مستتر يعبر عن أمر غير طبيعي؛ ألا وهو كيف يمكن لشرفة وهي عبارة عن جماد أن يحمل معاني الحب والعطف والحنان بدل المحيطين به، وكأنّه يشير إلى حياة الإنسان المعاصر الذي يمتلك البيت الواسع الملبس والمشرب وكل الملذّات المادية لكنه يعاني الجفاء بالرغم من توفر الأهل والأصحاب حوله، فهذه الحضارة جعلتنا منغلقين على أنفسنا وعلى الوجود بكل مافيه، حصلنا على المال في المقابل خسرنا معالم إنسانيتنا، وحتى الشارع بالرغم من أنه جماد فإن له دورة حياة وينطلق من جديد وكله تفاؤل، فهو لايعرف السكون،وبالمقابليعيش"مصطفى" التشتت ويواصل الغرق في هذه الغربة، لأنّه لم يقدر على إيجاد نقطة انطلاق جديدة يستطيع من خلالها تحقيق وجوده الفكري والوجداني.

ويستفسر علاوة هو الآخر حول قدرته على تغيير حياته أم لا فيقول: "وإذا كنت مؤمنا بأنك صنيعة القدر .. هل أقدر أنا .بل هل أجرؤ على أن أُعيد تشكيل صنائع الأقدار؟أعترف بأني أعجز من أن أفعل، أوحتى أن أحاول فعل ذلك"[2]، فهو يعجز كل العجز عن إقامة حياة جديدة أو إعادة تصحيح مافيها من اعوجاج، ولا يقوى على التفكير في الأمر حتى، فالواقع يكبّله بقيود تمنعه من الحراك والتقدم نحو الأمام، لأنّ البداية صعبة فكيف يعثر عليها وينطلق من جديد. ويتحدث "علاوة" عن اللحظة التي فقدت فيها زوجته "ابتسام" طفلهما الأول بكل حسرةٍ وألمٍ فيقول:"وردّدت الطبيبة على مسامعي نبأ فقداننا للطفل كأنّها مقدمة نشرة أخبار تقرأ خبر وفاة ذبابة في الهند.. لم أحقد عليها بقدر ما أشفقت على أمثالها."[3]

[1] الرواية، ص14.

[2] المصدر نفسه، ص14.

[3] المصدر نفسه، ص55.

"علاوة"هنا في حالة انهيار شديدٍ وألمٍ حادٍ، بسبب ضياع ثمرة زواجه، لكنّ مازاد ألمه هو الطريقة التي ألقت بها الطبيبةُ هذا النبأ الحزين على مسمعه بكل برودةٍ وجفاءٍ؛ لطالما كان "علاوة" ينتظر قدوم هذا الطفل بفارغ الصبر،فهو في نظره أملٌ جديدٌ يلوح في أُفقه البائسلكن أمله ضاع بفعل إرادة السماء، وتحمل عبارة " مقدمة نشرة أخبار تقرأ خبر عن وفاة ذبابة في الهند"، دلالة نسقية للاغتراب الوجودي، حيثجسّدتانهيار قيمة الفرد في المجتمع والتي أصبحت تتساوى مع حياة الحشرات والحيوانات، فالطبيبة لم تراع أن الذي مات هو إنسان مثلها، لوخرج إلى الوجود لكان سينمو ويكبر ويحلم ويطمح لتحقيق كيانه ووجوده كباقي البشر، وفي الوقت نفسه لم تراع مشاعر الأب والأم الذي هو فلذة كبدهما؛ وهذا ما يعبّر عنانعدام قيمة الإنسان المعاصر، فكلُ قيمه الروحية والاجتماعية صارت مجرد كلامٍ فارغٍ،هذا الأمر جعل "علاوة" غارقاً في أفكاره التشاؤمية التي صارت تتهاطل عليه في كل لحظة لدرجة أنّهأصبح يردد: "حب متعسر، زواج متعسر ..ألفة متعسرة بسبب نسيان متعسر.. ثم ولادة متعسرة، لماذا كل ما يجمع بيننا متعسر..يكتنفه التعسر؟ ! كأنّ القدر جمع بيننا مرغماً"[1] يختصر في هذه الجمل القصيرة والمتتابعة قصة زواجه التعيسة ف"ابتسام" كانت تحب "مصطفى" سابقاً، بعدها صارت تحبه هو وحاربت أهلها لأجله وتناسيا الماضي بصعوبة كبيرة وفي النهاية تتفاجأ بأن حملها الذي كانت تنتظره ضاع منها ومن "علاوة" وكأنّ قدرهما رفض كل الرفض قصة اجتماعهما معاً، وتحمل عبارة " وكأن القدر جمع بيننا مرغما"صراعاً وجودياً عميقاً لدى الإنسان.

"مصطفى" هو الآخر في رحلته الاغترابية الوجودية يتساءل عمّا إذا كان الله يحاسب الانسان المقيد فيقول: " هل يمكن أن يحاسب الله إنسانا غير حر..لا يتمتع بحرية الاختيار؟ وهؤلاء ألا يصادرون منا المستقبل إذ يصادرون منا الحرية أو يعطوننا إياها في نسختها المزيفة اسمع ليست هذي هي الجزائر التي ضحى من أجلها المجاهدون الحقيقيون والشهداء..هذه جزائر أخرى..هذا وطن آخر "[2]، لطالما ارتبط الوجود الانساني بالحرية،وبغيابها تمّحي شخصية الفرد، لهذا نجد شعار الوجودية أنّ الوجود مقرون دوما بالحرية، فإذا حلّ محلها القيد صارت

[1] الرواية، ص 56.

[2] المصدر نفسه، ص 111.

الذات مغتربةً عن عالمها. وهذا الأمر ينطبق تماما على "مصطفى" بفعل فاعلين وهم أولئكالذين حكموا البلاد، وسدّوا أفواه الناس عن قول الحق وجعلوا منهم قطيع غنمٍ يوجهونهم كما يحلو لهم في بلد اسمه الجزائر، التي ضحى من أجلها الشهداء الحقيقيون ولنضع سطرا تحت هذه الكلمة، لأن الكل صار يدّعي المشاركة في الثورة وهم من باعوا القضية في الماضي والحاضر، ومنحوا الشعب بعض فتات الحرية،التي بغيابها لم يقدر "مصطفى" على تحقيق أحلامه وطموحاته فضاعت نفسه في هذه الغربة، التي التهمت كل ماهو موجود في عالمه.

2.1.3المطلب الثالث: الاغتراب اللغوي:

تُمثّل اللّغة وعاءً حضارياًيحمل إيديولوجيا الأمة وثقافتها وشتى علومها. كما تقوم بوظيفة الكشف عن المشاعر والأحاسيس والانفعالات التي تجول في خواطرنا، وهي أداة تواصلية بين أفراد المجتمع، وباعتبار أنّ الأعمال الأدبية تكون مشحونة بدلالات ومعاني وأفكار تتجسد فيها على اختلاف أجناسها؛ عند دراسة ظاهرة الاغتراب في الروايةلمسنا وجود الكثير من المفردات التي تحمل طاقة شعورية تصبُّ في حقل الاغتراب اللغوي، نستعرض أهمها بالشرح والتحليل:

تحمل عبارة "تقتات نفسي حصاد الخيبة" [1]الكثير من الشحنات العاطفية الحزينة في نفس "علاوة" المصاب بمرض الاغتراب، نتيجة معاناته المتراكمة طوال السنين المتوالية فكيف يمكن لشخص أن يعيش على محاصيل الخيبة، هذا التعبير المجازي يجسّد بعمق وبشكل حرفيما وصل إليه "علاوة" من اقتناع تام بعدم جدوى الأمل، أو التفكير في أحلام وطموحات مستقبلية لأن النهاية دوما الفشل الذريع، لهذا اغترب كلياً عن نفسه ووطنه وبيئته، والآن هو مهيأٌ نفسياً دوماً لتلقي الخذلان بسببالواقع المرير. وتجسّد العبارات: " وجفت من مقلتي الدموع، كأني تسمرت واقفا عند اللاشعور، عند اللافعل، عند اللاقدرة"[2]، شخصيته العاجزة على التقدم خطوة واحدة إلى الأمام، فهو يعيش في دوامة من الإحباط مشاعره مخدرةٌ تماماً وعاطلة عن العملحيث وجد نفسه واقفاً في منطقة العجز،وانصهرت روحهبفعل ما تعرّض له،إذ لم يعد قادرا على تحريك ساكن، وكل شيء حوله يدعو إلى الهروب بدل المواجهة والصمود. ويتحدّث "علاوة" عن صديقه متحسراً على وضعه، مهاجما في الوقت ذاته الوطن الذي يدّعي الرحمة وهو يفتك بأبنائه فيقول: "لفظك الوطن ..ذلك الذي حضنه مزروعا بالأشواك، وكان رؤوماً معك حد السادية "[3]؛ تحمل لفظة "لفظك الوطن" دلالات التخلي، بالإضافة إلى مشاعر الحقد والكراهية التي يكنّها من يدّعون الوطنية اتجاه "مصطفى"وأمثاله من الذين هم على دراية بكل ما يدور

[1] الرواية، ص 15.

[2]المصدر نفسه، ص 17.

[3]المصدر نفسه، ص34.

حولهم ، ولا يسعهم إلا الصمت ومشاهدة الظلم أمام أعينهم، لهذا استمر هذا الوطن في سحق شخصيته وكأنّه جلادٌ يمارس عليه شتى أنواع العنف بطريقة سادية، والفعل "لفظك "يشير إلى دلالة نسقية تتمثل في قضية سفر "مصطفى"واغترابه إلى فرنسا،الذي لم يكن فعلا إراديا إنما الوطن هو من أجبره على مغادرته بكل وحشية جرّاء ما تلقاه من إهمال وطمس لطموحاته.

يستمر علاوة من خلال ألفاظه في الحديث عن الاغتراب، من خلال سرد معاناة صديق طفولته، في كلمات تختصر معاني اليأس والتشاؤم،التي طغت على حياة صديقه فيقول: "تعزي نفسك بالفرح المغتال في كل مرة قبل أن يولد"[1]، تحاول الشخصية البطلة كما يتبين لنا في هذه الألفاظ أن تعلل نفسها بالفرح وانتظاره في كل مرة يخونها ويتأخر في القدوم إليها، أويموت قبل اكتماله. كما تُظهر عبارة: " يئس حد الكفر [2]" شدة اليأس التي وصل إليها "مصطفى"، حتى صار كافرا بكل سياسات هذا البلد، سواءً أكانت اجتماعية،أو ثقافية، أو اقتصادية، أو سياسية، لأنّه تشرّب كل أشكال الخذلان في هذا البلد، الذي يدّعي العدل والمساواة وحرية التفكير والتعبير.ووصف "علاوة" نفسه ومشاعره في هذه الكلمات قائلا:"وحشة وأنسراحة وقلق،أعراض فرح عابر ومقدمات حزن مقيم"، [3]استطاعت اللغة هنا التعبير عن نفسية علاوة المغتربة، التي تعيش الاضطراب وعدم الاستقرار الداخلي، هذا ماتجلى في مشاعره المتبعثرة والمتناقضة في الوقت نفسه، فذاته في حالة تشظي مادام كل ماحوله يسير بطريقة عكسية.

[1] الرواية، ص 19.

[2] المصدر نفسه ص 51.

[3] المصدر نفسه ص 55.

2.1.4المطلب الرابع: الاغتراب المكاني:

حضر هذا النوع من الاغتراب بكثرة في المدونة، جسّدته الشخصيات البطلة التي تعاني أزمة مع الأمكنة التي تعيش فيها، وتعرّف حنان بومالي الاغتراب المكاني بقولها: "ظاهرة يسيرة إذا ما قيس بالاغتراب الوجودي الذي يجد جوه الفيزيقي في أعماق النفس البشرية وهو أقرب إلى معنى الغربة لأنّه حالة اجتماعية يستشعر المرء فيها البعد والانفصال عن مجتمعه وجماعته فلا ينتمي إلى المجتمع فلاحب الاختلاط بالناس لأنهما في نظره من عوامل ضياع ذاته الحقيقية وشخصيته الفردية ولذلك ينشد دائما التجوال والارتحال والسفرفهو بذلك الإنسان الشقي الذي ينطبق وصفه بالمحنة بعد المحنة، يشعر بالاقتلاع في هذا العالم ولا جذور تربطه به ولا يقوى على الاستيطان فيه." [1]

نفهم من هذا التعريفأنّ هذا الشكل من الاغتراب هو حصيلة تصدّع العلاقة بين الإنسان المغترب والبيئة الجغرافية التي يعيش فيها، مما يقوده إلى رفض الاختلاط بأفراد جماعته. ومن مظاهر الاغتراب المكاني في الرواية الحوار الذي دار بين "علاوة" وأم صديقه حول قضية سفره فيقول: " سمحت لك بالسفر بعد طول مجاهدة. سألتني فأخبرتها أنه من الأفضل لك أن تسافر قد لا يكون بخير إذا بقي هنا".[2]

تبرزفي هذا المقطع عاطفةالأم اتجاه ولدها الوحيد، محاولة منعه من السفر إلى فرنسا لكن"علاوة" استطاع أن يجعلها تعدِلُ عن رأيها،فبقاؤه هنا يجعله عاجزا ومنطويا على نفسه وغارقاً في غربته المكانية،إذ يحس تجاه الوطن ومدينته "سطيف"باللانتماء والقهر والانغلاق التام، فحريٌ به أن يبحث عن مكان آخر يستوعب أحلامه وطموحاته ويحقق ذاته فيه.

يحدّث"علاوة" هو الآخر نفسه عن عدم انسجامه في مدينة سطيف، وأنّه يعيش عزلةفلا هو يطيق المدينة ولا هي تستأنس به فيقول: "ما الذي كان يخيفني في هذه المدينة التي تسكنني

[1]حنان بومالي: الاغتراب وتحولات النص الشعري لبلند الحيدري، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، جيجل الجزائر، ط1 2017 ص27.

[2]أحمد طيباوي، مذكرات من وطن آخر، ص 21.

ولا أسكنها." [1]فهو يشير وبشكل صريحإلى عدم خوفه من أي شيء في المدينة التي لا صلة له فيها بأحد؛ فقد عرف فيها الاستلاب منذ صغره، متجرعااليتم والحرمان والألم النفسي، إذ لم ترحمه وأذاقته الويلات، هذا جعله يعيشمشاعر الجفاء والانفصال الروحي والعاطفياتجاهها.

ومن الشواهد الواردة في رواية التي تصب في خانة الاغتراب المكاني،نذكر اللوم الذي كان يلقيه "علاوة" على "مصطفى" بعدسفره إلى الخارج وترك صديق طفولته يذوق أشكال العزلة والضياع فيقول: "لماذا تركتني وحيداً مقهوراً وهذا الوطن يسومني سوء الحب؟ تركتني وحيدا أواجه حالة اللاحب واللانتماء ..واللاتصالح التي تصهرني في كل لحظة وتعيد تشكيلي ورسمي على صورة أكثر تشوه و.. ايحاء؟!." [2]

يُظهر "علاوة" هنا ألمه بسبب الهوّة التي تتسع يوما بعد يوماًبينه وبين وطنه الأم (الجزائر)فاللانتماء المكاني صهر كيانه وسلخارتباطه ببيئته المحيطة به، فهذا الوطن تنكّر له وأنكره بفعل الذين أعاثوا فيه الفساد، وتنكّروا لوصية الشهداء، فصار يبادله هو الآخر اللاتصالحواللاحب، لأن الجزائر لم تعد ذلك الوطن الذي ضحى في سبيله المليون ونصف مليون شهيد، بل بلدٌ يقمع الحرية ويغيّب العدل والمساواة، التي أصبحت مجرد شعارات في المناسبات الوطنية فقط.

كذلك تجلى هذا النسق في المدونة فيالسؤال الذيطرحه "علاوة" على صديقه، حتى يفهم ما إن كان يحمل مشاعر الحب لسطيف وللجزائر، فيقول: "وسطيفحبيبتك بكل تاريخها وحاضرها، والجزائر أمّ الجميع المأخوذة دوما بوهم الاستلاب شرقاوغربا.. ألم يعد فيهما إلاّ ما يقيد حريتك ويشدك للخلف..أليس فيهما ما يدفعك للأمام؟."[3]

وهذا ما يبين لنا عمقالتساؤل والذي يوحي في نفس الوقت بالغربة المكانية، وهويعرف إجابته جيداً، فلو لم يكن يعاني "مصطفى" من هذا الاغترابإتجاه مدينته ووطنه، فماالذي قد

[1] الرواية، ص42.

[2] المصدر نفسه، ص 124.

[3] المصدر نفسه، ص 112.

يدفعه لمغادرتهما؟، لأنهمهزوزالكيان، حقوقه مهضومة،حريته مقيدة، كل هذه الأمور تدفعه إلى الخلف، وتحصره في زاوية الانغلاق على كل شيء،فهو صورة لذلك الإنسان الشقي المغترب الذي لم يهنأ بالعيش داخل وطنه، ولا في بلاد الغرب، هذه الأخيرة ضاعفت من جرعة الاغتراب لديه.

أما في النّقاش الذيدار بينالصديقين حول قضية مهمة مرتبطة بوظيفة المدينة، يقول مصطفى: "هل تعرف ماهي وظيفة المدينة؟ إن وظيفة المدينة الأساسية هيإنتاج النخب .. فلتنتج مدننا نخباً في مستوى التحديات التي تواجهها؟! بالتأكيد لا ..وبهذا المعنى فإن مدينتنا هذه وبقية المدن الأخرى عاقر"[1]، وهذا يحيلنا إلى أن سفر مصطفى إلىفرنسا وكثرةاطلاعه علىالكتب، فجّرت بداخله ينابيع من المعارف وجعلته ينظر إلى الأمور من زوايا متعددة

فهو يمثّل الشخصية المثقفة الواعية بواقعها، هذا الانسلاخ الذي وجده في المدينة دفعه للتأكّد أن وظيفة هذه الأخيرة ليست احتواء الأفراد فقط، بل يجب عليها أن تخلق نخباً مثقفة تستطيع مجابهة العراقيل والصعوبات التي تقف في طريقها، هذا الأمر غائب تماماً في سطيف وفي باقي مدن الجزائر،حيث وصفها بالأم التي لا تنجب أو العاقر.

يبرز فيما قاله "علاوة"أثناء عودته من المطار كمية القهر والظلم التي تذوّقها في مدينته: " لم تعد سطيفإلا أمّا تأكل أبناءها.. مسخا وقهراوبهذا .. كل شيء مسموح في الحب على منوال الوطن الكبير"[2]، فيرى بأن سطيف أصبحت أمّاًفاسدة خلعت رداء الأمومة لتلتهم ساكنيها وتذيقهم العذاب والاضطهاد، وقد امتد ظلمها هذا إلى ربوع الوطن مما جعل أهلها يذوقون المحنة تلو الأخرى.

إنّ الحالة الهيستيرية التي وصل إليها "علاوة" تُظهر حجمالاغتراب الذي تجذّر في أعماقه اتجاه الجزائر؛ فيقول:" لماذا أثرت أن تثري أرشيف خيباتي برحيلك؟! ظللت من قبلك ومن

[1] الرواية، ص 113.

[2] المصدر نفسه، ص124.

بعدك وحيدا.. وتلك خيبتي. لقد ولدت والوحدة صديقتي ظللت بعدك وحيدا إلا من وطن اسمه الوطن لكن لا يشبه الوطن.. ملامحه كملامح الوطن الأول، لكن ليس له قلب كقلبه"[1]

هذه الغربة التي تخنق علاوة استمرتفي فصلهعمّن حوله، منذ طفولته التي عاشها يتيما ووحيدا؛ هو في كل حالاته إنسانٌ شقيٌ لم يرحمه أحد، حتى هذا الوطن الذي يفترض أن يجود عليه بالانتماء، بل يقوم بسحقه ويحاول أن يجعل منه كومة من اللاشيء، وهو مخالفٌ تماماً للوطن الأول، حيث غابت معاني الحب والعدالة فيه فانقلبت عاطفته إلى رغبةفي الهروب منهولم يعد يقوى على الاستقرار فيه.

[1] الرواية، ص125.

2.2المبحث الثاني: الاغتراب الخارجي:

2.2.1المطلب الأول: الاغتراب الاجتماعي:

ينبع الاغتراب من الصراع الداخلي للذات واصطدامها مع محيطها الخارجي، يمكن أن ينبع هذا الأخير كذلك من مسببات خارجية كالأنظمة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية والهيمنة الفكرية في المجتمعات بصفة عامة.

وهو: "شعور المرء بالانفصال عن الكل الاجتماعي الذي ينتمي إليه وهو انعكاسلوضع الفرد في المجتمع نتيجة ما يوقعه الأخر بالإنسان من عقوبات العزل أو النبذ بسبب الخروج عن المعتقدات السائدة فالمغترب هو من خرج عن المألوف الاجتماعي او الديني." [1]

يتبين لنا من هذا التعريف أن الاغتراب الاجتماعيهو إحساس الفردبعدم القدرةعلى تحقيق طموحاته، وذلك بسبب التهميش والتعدي الذي يتعرّض له من الآخر وتوجهاته الفكرية التي يفرضها بالقوة داخل المنظومة الاجتماعية.

من خلال اطلاعنا علىالرواية وجدنا أنها تزخر بالعديد من النماذج المتعلقة بالاغتراب الاجتماعي تمثلت في:

عاش مصطفى عبد الباقي اغترابا مع والده طيلة حياته، بل تعدّى الأمر حالة الاغتراب إلى حالة القطيعة والعداوة، بسبب سوء تصرّف والده ومعاملته القاسية له، يصفه "علاوة" قائلاً: "أسوأ نموذج بشري يمكن أن يصادفه المرء(...) بل كان عليك أن تطيع هذا النموذج، وأكثر من ذلك أن تتخذه قدوة لك"، [2]هذا الأب الذي يفرض الدّين والمجتمع طاعتهلكن التصرفات الشنيعة الناجمة عنه تدفع "مصطفى" إلى رفضه كشخص قبل أن يكون أبا يجب عليه الاقتداء به وطاعته، وهنا نلمح اغترابا اجتماعيا تمثل في سوء تفسير أوامر الله تعالى ومبادئ الدين

[1]صلاح الدين أحمد الجماعي: الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران، عمان الأردن، ط1، 2010،ص46.

[2] الرواية، ص27.

في شأن الطاعة العمياء للوالدين والذي يسود الثقافة الشعبية الجزائرية يقول "مصطفى" لصديقه في هذا الشأن: "قلت لي إنّ هناك معادلات في الدين يجب إعادة تركيبها حتى نحصل على الحل المطلوب(...) وإلا بقيت معادلات مستحيلة"[1]، هذه القيمة الأخلاقية وغيرها من القيم والتي شوهها المجتمع ماهي في لبّها سوى بعدٍ واغترابٍ عن الدين الصحيح، وتشويه لمبادئه وقيمه الاخلاقية التي لا يمكن أن تمس كرامة الإنسان فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

من جهة أخرى تجسّدت ملامح الاغتراب الاجتماعي في علاقة "علاوة" مع زوجته التي تغيرت تدريجيا ولأسباب عدة؛ أولها الاختلاف الطبقي بينهما، ورفض أمها المطلق لزواجها منه، قالت له في إحدى المرات تلومه على وفاة حفيدها ومعاناة ابنتها: "من نهار جاتك ما شافت الهنا"[2]، هذه الأخيرة تمثّل جزءا من مجتمع سادت فيه القيم المادية وأصبحت أساسا للحكم والمفاضلة بين الناس.

يصف علاوة ما دار بين ابتسام وصديقاتها في إحدى المناسبات قائلا: "قالت الأولى زوجي طبيب جراح، وقالت الثانية إن زوجها قاض، والثالثة شريك حياتها رجل أعمال مغترب.. والأخرى لا أذكر ماذا، حتى إذا جاء دورها–كما أخبرتني –لم تجد ما تقولهترددتثم قالت تريد أن تخفف وطأة الحرج الواقع عليها: "إن زوجي تقني سام في الإعلام الآلي يعمل كموظف حكومي.. لكنه مثقف جدا ولديه أخلاق الملوك(...) أظنهن قد سخرن منها في سرهن(...) يستغربن كيف لامرأة لها هذا الرواء والتفوق العلمي أن ترضى بهكذا عيشة وبهكذا زوج...".[3] وهو في الأخير ما أدى إلى وجود انفصال واغتراب علاوة عن زوجته مع مرور الوقت وتفاقم المشاكل، خاصة بعد فقدانهما للطفل،ويمكن أن نلمح هذا الانفصال بينهما من خلال الصراع الداخلي الذي يعانيه "علاوة" بمنأى عن "ابتسام" وانقطاعهما التام عن التواصل والحوار الذي يبرز جلياً في هذا القول: "لم أعد أجد حبيبتي القديمة حين أتكلم معها.. لقد ضاعت ابتسام القديمة من ذاكرتي ووجداني(...)لا مبالاة طاغية(...)لم يبق أمامي إلا الهروب إلى التأويلات

[1] الرواية، ص27.

[2] المصدر نفسه، ص29.

[3] المصدر نفسه، ص131.

المتناقضة التي لا أسباب مؤكدة أو منطقية لها"[1]، فقد أصبح يعيش حالة اغتراب وانفصال عاطفي عن زوجته فلم تعد تمثّل نفس المرأة التي أحبها سابقاً.

[1] الرواية، ص147،148.

2.2.2المطلب الثاني: الاغتراب الاقتصادي:

يُعتبر الاقتصاد شريان الحياة بالنسبة للدّول المتقدمة أو المتخلّفة على حد سواء، وهو عاملأساسي في تطوّرها،حيث يحتوي هذا المجال على الجوانب التجارية والصناعية ويعمل في قطاعاته العديد من العمال يشكلون الطبقة التحتية،فأي خلل في هذه المنظومة سواء من ناحية العلاقة بين الموظفين، أو تعدّي على حقوق العمال يؤدي إلى حدوث اغتراب اقتصاديالذي أرجع عبد اللطيف محمد خليفة أسباب حدوثها إلى "ضعف العلاقات الاجتماعية بين العاملين و الإدارة في إحدى المؤسسات أو المنظمات الصناعية وبين العاملين وبعضهم البعض يزيد من القوى التي تفضي إلى ضعف التماسك في بيئة العمل. وهو مايعكس من الاغتراب."[1]

يبيّن هذا القول أنّ الأسباب التي تقف خلف تشّكل الاغتراب الاقتصادي تتمثل في ضعف التواصل بين العاملين وقلة احتكاكهم ببعضهم البعض،بالإضافة إلى أنّ عدم تقبّل العامل للمجال الذي يشتغل فيه يجعله هو الآخر مغتربا عن عمله، حيث تجلّت مظاهر الاغتراب الاقتصادي في الروايةمن خلال العديد من النماذج نذكر أهمها:

ما قرأه علاوة في جريدته اليومية والتي دوماً تثير فيه مشاعر السُّخط، فيصف ماقرأه قائلا: "أُحضر جريدةً وأجلس في مقهى عين الفوارة(...)الحكومة تعتزم التحلي ببعض الوطنية في الاقتصاد ..مدهشون هم في تلونهم حتى أنهم أصابوا الشعب بعمى الألوان..وطنية اقتصادية أم ردة ليبرالية؟!أم محض عبث ممنهج يرمي إلى هدر البشر؟"[2]كل ماوقع في عينيْ علاوة جعله يثور ويحسبالهيجان، فجرائد هذه الأيام معبئةبالكثير من السخافات والاقتصاد الجزائري في تدهور مستمر والحكومة في حالة لا مبالاة، يتبّعون أسلوب التمهيلوتحمل عبارة "مدهشون هم في تلونهم حتى أنهم أصابوا الشعب بعمى الألوان" معاني الاستهزاء والمماطلة

[1]عبد اللطيف محمد خليفة:دراسات سيكولوجيّة الاغتراب، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 2003 ص86.

[2]المصدرالسابق، ص 31 ،32.

التي يعمُد إليها المشرفون على الاقتصاد الوطني، فكل يوم قرارٌ جديد وأكاذيب جديدة، لدرجة أن الشعب صار يشمئز من هذه الخطابات الفارغة.

استمر علاوة في الحديث عن السياسة الحكومية،التي خلقت انفصال الشعب عن مؤسساتها الاقتصادية فيقول:"جنى على الديمقراطية في هذا البلد الشرعية الثورية والنفط.. والديمقراطية والنفط لا يجتمعان أبدا .حولوا الوطن إلى ضيعة مستباحة، وعلقوا الوطنية نياشين وأوسمة يريدون أن يرهبوا بها عدو أحاديتهم. ثورة مع وقف التنفيذ، ومعلقة آماله بسقف التاريخ المحتكر.. وأجيال تتوارث فن الاستباحة"[1]، يوضّح علاوة في هذا المقطع العلاقة المتنافرة بين الديمقراطية التي تقوم على العدالة، والحرية، والمساواة، وتكريس الحكم الرّاشد،وبين الاختلاس والنهب لعائدات النفط في الواقع،وتكريس سياسة الحزب الواحد لخدمة لمصالحهم الشخصية، هذا الأمر خلق الكثير من الفوضى داخل الوطن.

في كل مرة يطالع علاوة الجرائد يتشبّع أكثر بهذا النوع من الاغتراب، ويضيف على ماقاله سابقا قوله: "دولة تعيد تدوير عائدات النفط.. مناقصات عمومية ..بنوك تموّل مقاولات تقوم بإنجاز مشاريع ذات نفع عام لا تتطابق مع المواصفات، أو استثمار منتج وطبقة من المنتفعين ..لا أحب أن أكمل في هذا، أنت أفضل من يعرف مبتدأ الإفساد وخبر السقوط تتهافت علي الأسئلة، صرت مستباحا للأسئلة منذ السقوط الأول: أنا أقف هنا، هذا صحيح .. لكن أين أنت، وأين الوطن؟!."[2]، يحمل هذا المقطع العديد من الايحاءات التي تصب في حقل الاغتراب الاقتصادي،والتي أشارت إليها الشخصية البطلة التي يمثّلها "علاوة"، كلها تشرح الفساد الاقتصادي الذي تغرق فيه الجزائر ،وهذا ما انعكس بالسلب على الدخل الوطني والفردي.

يعيش علاوة حالة اغتراب عن مجال عمله،فهو يعتبر عمله دون فائدة وعبارة عن فراغ وذلك بسبب فشل وعجز مكتب الرعاية الاجتماعية الذي يعمل فيه عن سد حاجيات وضمان حياة كريمة لكافة أفراد المجتمع دون تمييز، يسرد علاوة هذا في قوله: "أغدو كل صباح إلى

[1] الرواية، ص 49.

[2] المصدر نفسه، ص80.

عملي في مكتب الرعاية الاجتماعية التابع لمديرية النشاط الاجتماعي.. حيث لا رعاية ولا نشاط توجّع يبلغ مسامع البيروقراطية الصّماء، تلك التي تسحق آمال المستضعفين بقسوة العصور البدائية "[1].

كذلك برز ملمح الاغتراب الاقتصادي، وعلى وجه الخصوص أثناء تأدية "علاوة" لعمله والذي لا يملك أدنى شغف ورغبة اتجاهه، يقول: "دخلت إلى الدوام في الموعد المحدد اليوم وبادرني برميل الغباء الذي وصل متأخراً كعادته يحاسبني عن غيابي بالأمس دون أخذ إذن مسبق، وعن عدم احترامي مواعيد الدخول والخروج .. لا آبه لما تقوله، ملّ قلبي من كل هذا. انصرفت يائسة مني، وفي نفسها خشية أن تنتقل العدوى إلى الآخرين"، [2]حيث برز تمرّد "علاوة" على مديرته وعلى قوانين العمل لأنّه فقد الأمل أن يكون لوظيفته جدوى في حياته أو في حياة الآخرين، خاصة أنّ راتبه الزهيد لا يحفظ له ماء وجهه، ووجد نفسه يتخبّط بين تسديد ديونه وعيش حياة كريمة تليق بزوجته ومستواها؛ ممّا أدى به إلى هذا التمرّد، لاسيما حين وجد عدم الانضباط من طرف مديرته وحريتها في القدوم إلى العمل في أي وقت، وفي المقابل هو وأمثاله من العمال تلزمهم بالتقيّد التام بأوقات الدوام.

[1] الرواية، ص14.

[2]المصدر نفسه، ص83.

2.2.3المطلب الثالث: الاغتراب السياسي:

يخلُق الاغتراب السياسي عندما يحسُّ المواطن بحالة عدم الرضا عن ممارسات السلطة الحاكمة، وتلفيقات الأحزاب السياسية، هذا ما يقوده إلى الإحساس بالرضوخ والعجز عن إبداء رأيه، أو المشاركة في إصدار القرارات، ومايزيد اغترابه أكثر هو القادة السياسيون الذين لا يضعونه بعين اعتبارهم، وزيادة على هذا الأمر سياساتهم القذرة وانعدام المصداقية عندهم تدفعه دوما إلى الانفصال والشعور باللانتماء لهذه السُّلطة وكل المشرفين عليها.

تزخر رواية"مذكرات من وطن آخر" بالكثير من النماذج التي تصبُّ في حقل الاغتراب السياسي على لسان شخصياته التي تمتلك حساً سياسياً واعياً، فنجد علاوة يقول: "عشنا ومازلنا نعيش عصرا من الأكاذيب والتلفيقات لقد قال نيتشه الدولة تكذب ببرود، وهذه كذبة تخرج من فمها دائما..أنا الدولة، أنا الشعب[1]"، يفضح علاوة في قوله هذا السياسة الجزائرية الفاسدة، التي لم تتغير بالرغم من تغير رجال السياسة بقي الوضع نفسه كأنهم يورّثونها لبعضهم البعض، من خلالإيديولوجيتهم الخبيثة وأساليب التضليل والتزييف الممارسة ضد الشعب الذي يقدّمون له وعوداً ومخططات تنموية ومشاريع فارغة، لكن التطبيق على أرض الواقع غير موجود، شعارهم المستفز "الدولة من الشعب والشعب من الدولة" حتى يكبسوا تأييد الفئات المغلوبة على أمرها، لكن حينما يحصلون على الكراسي تتغير كل المبادئ والوعود.

يواصل علاوة فضح الممارسات السياسية الفاسدة في الجزائر قائلاً: " إنهم يحبون الجزائر مع سبق الفساد والإفساد.. إنهم يحبونها هكذا ..وهي كما امرأة وطئها ألف زنيموراحت تدّعي العفاف.. وجعلت ترضع من ثدييها كل الأشراروالمتكالبين كي تكافئهم على أن خلصوها من آخرين اغتصبوها قبلهم .تبا للجميع.. تبا لكل شيء!". [2]

[1]الرواية، ص 49.

[2]المصدر نفسه ص 49.

حيث يعيش الشعب الجزائري اغترابا سياسيا بسببتناقض بين أقوال السياسيين وأفعالهم فهم يعشقون الجزائر ويحبونها، لكن في الوقت نفسه يخرّبونها بأعمالهم الدنيئة والمشينةويختلسون أموال الشعب بدل إدارتهالصالح شؤونهم ووضع قوانين تضمن الحكم العادل

وتحمل عبارة "وهي كما امرأة وطئها ألف زنيم وراحت تدعي العفاف "دلالة مضمرة تُشير إلى النية المتجذرة في عقول رجال السياسية المتمثلة في رغبتهم في أن تكون الجزائر مثلهم ومشابهة لهم، فهم في العلن وأمام المواطن يتّبعون أسلوب التهدئةوعرض فرصللشّباب وإنجازات في القريب العاجل،أما في السرفهدمٌ لقيم الدولة، واستغلال المناصب لتحقيق المصالح الشخصية ونهبٌللخزينة العمومية. هذه الأرض الشريفة الطاهرة اغتصبها الاحتلال الفرنسي ونهب خيراتها وقتل أولادها واستباح نساءها، فجاء رجال غيورون على وطنهم وأخرجوا هذا المحتل الغاشم، لتتعرض الجزائر مرةً أخرى إلى احتلال داخلي، مثلته تلك الفئة العميلة لفرنسا وأتباعها.

كذلك يبرز وعي"علاوة"بما يدور حوله من سياسات فاشلة في الجزائر فيضيف بقوله:"قتلت الوطن سادية من يحبونه..بين تعصّب لحية وتجبر حذاء ثقيل انسحقت آمال المستضعفين وركعت الجزائر الشامخة تطلب الخلاص من علية القوم وأراذلهم"[1]، في هذا النموذج إحالة على وضع الجزائر الكارثي، والذي آل إليه بفعل المفسدين الذين دفعتهم أطماعهم لاعتلاء السلطة، وحبهم للجزائر مقدنس يجمع بين القداسة والدناسة، فهنا ضاعت هذه الأرض المباركة بسبب خلافات جماعة النضال وأصحاب اللحى؛كل اتجاه يرى نفسه الأحق بالسلطة والشرعية الكاملة في حكم هذا الوطن، وأنّ الآخر متعصبٌ متطرفٌ يريد تخريب الوطن وزعزعة أمنه واستقراره.

ظلّ علاوة يعاني من هذه الحالة الاغترابيةولا يستطيع فعل شيء، فهو مثله مثل عامة الشعب مطالب بالصمت وغض البصر والسكوت عن كل ما يراهأمامه، فممثلو الفساد يُغطّون على تجاوزاتهم في الاحتفالات الوطنية،وحين تسلّطُ عليهم الكاميراتيضخّمون اللاشيءحتى

[1] الرواية، ص64.

ينالوا تعاطف أفراد الشعب المغلوب على أمره، حيث يصف"علاوة" مايحدث داخل أروقة الحكومة قائلا: " وقفتُ تحية للعلم.. إجلالا لذكرى وطن قتل منذ تتكّرلأمثال السيدة فطيمة. وهاهو يريد أن يقنعنا، نحن معشر الذين تشربنا العقوق وإنكار فضائله، بأنّه كان وسيظل رؤوما. يعرضون إنجازات كبرى جاءت بقوة الأشياء، ولم تتفتق عنها عبقرياتهم.. ويتغاضون عن خيبات أكبر استقرت في جموع النفوس، خيبات يسعون إلى مداواتها بالتجاهل والتلفيق"[1]

يصوّر علاوة في هذه الاحتفالية المصادفة لذكرى عيد الاستقلال الموافق ل5جويلية من كل سنةليعود بذاكرته إلى الوراء، كيف كانت هذه الأرض في فترة الثورة المجيدة وبسالة الكفاح ضد العدو الفرنسي، لكن الآن لم يعد هذا الوطن يعترف بمن حرروه من أنياب الاستعمار وفي المقابل يتنكّر لهم ويدعم أولئك الذين لم يحركوا ساكناً، وهم اليوم يمارسون النفاق بكل صوره يتذكرون هذه الأرض في ويوم واحد وينسونها باقي أيام السنة.وتحمل عبارة: "نحن معشر الذين تشربنا العقوق وإنكار فضائله" دلالة مستترة، توحي بمدى سخافة شعارات السياسيين الذين يرون أنفسهم أبطالاً، وأنّهم سخّروا كل وقتهم وجهدهم لإعمار هذا الوطن لكن يقولون بسخرية إنّ الشعب هو الجاحد لنعم الوطن عليه،وكأنّه ولدٌ عاق وناكر لجميل الوطن عليه، يلام حتى على سكوته ورضاه، فكيف يمكن الرضاوأملاك الشعب تقسّم بطرق غير عادلة، وفي كل مناسبة يستعرضون شبه إنجازاتوكأنّها معجزات، والواقع عكس ذلكالمشروع الواحد تتوالى عليه العديد من السلطات والأيادي حتى يخرج إلى النور.

"علاوة" الآن مدرك بأنه مغترب تماماً عن سياسة حكومته بسب قراراتها العشوائية ووصل إلى حد الكفر بها،فالأقوال في جهة والأفعال في جهةأخرى، إذ: "لم يعد للوطن قلب ..لقد تخلى عن البيتالرب ..وبقيت من دون أب.زُيّف الوطن عندما زيف الجهاد والنضال.ينزف هذا الوطن منذ تحول رصيد النضال الموهوم إلى رصيد في حسابات بالبنوك الأجنبية. آه أيها

[1] الرواية، ص 141.

الوطن الآخر ما أظلمك"[1]، في هذا المثال ينكر علاوة الحب على الوطن، فقد غابتعن ساسته المصداقية والنزاهة،وفقد الوطن قيمته بعد حالة التزييف التي شنها عملاء فرنسا

الذين باعوا القضية أثناء الثورة وادّعوا الجهاد بعد تحرره،فنهبوا خيراته وانتهكوا حقوق الشعب وفوق هذا كله اختلسوا الأموال وجعلوا لأنفسهم حسابات في البنوك الأجنبية تحوي المليارات بالعملة الصعبة.

كذلك في قوله: "أيرضيك أن يقال: مواطن عاق في وطن رؤوم؟ (...) تناغم هذياني مع قول أحدهم وأنا أركب الحافلة: "الجزائر نتاع البعض برك"، [2]إنّ السخرية الصارخة التي ينطق بها علاوة ما هي إلا نتيجة لسخطه الشديد على وطنه، وإحساسه بالظلم بسبب انسلاخ القيم الاجتماعية واضمحلالها في المجتمع، ففي فترة الثورة كان الفرد يمجّد الوطن ويضحّي من أجل الجماعة، لكن مع مجيء الاستقلال اختلفت النوايا فأصبحت الأنانية والطمع الفردي والتعدي على الآخر والجشع وتهميش الأفراد وحقوقهم طاغيةً، مما أحدث هوة بين مالكي زمام الأمور والمواطنين البسطاء وبين المواطنين أنفسهم.

[1] الرواية، ص142.

[2] المصدر، ص35.

2.2.4 المطلب الرابع: الاغتراب الثقافي:

يحدُث الاغتراب الثقافي عند انسلاخ وانفصال الأفراد عن قيم مجتمعاتهم ورفضها وعكسه الاندماج الثقافي، الذي يعني مواكبة القيم الثقافية الموجودة في المجتمع الأم. يصحب هذا النوع من الاغتراب تبني كل ما هو مضاد للثقافة الشعبية، نحو الانبهار بثقافة الغرب وأسلوب عيشهم....[1]

لاحظنا هذا الانسلاخ الثقافي من خلال الرفض القطعي لبعض قيم المجتمع الجزائري في الرواية، مثل الأحداث التي سردها الكاتب على لسان شخصية "علاوة"و"السي الحسين" المتجلية في وصف للأحداث المواكبة لفترة الانتخابات: "انتخابات رئاسية قريبة في الجزائر.. المنتخب الوطني يجري تحضيراته لخوض تصفيات المونديال ومصر هي التحدي الأكبر.. و.. وفائض من الجنون(...)ثم صمت وأضاف_ السي الحسين_ بنبرة أسف: هل أصابتك عدوى الجنون التي بالخارج؟(...) أخشى أن تكون قد أصابته هو الآخر لوثة الجهل القاتلة"[2]

فقدتزامنت فترة الانتخابات الرئاسية في الجزائر مع تصفيات كأس العالم، وأصيب الشعب بحالة من الهوس الكروي، بدل أن ينشغلوا بما هو أولى وأهم وهو مستقبل البلاد ومستقبلهم.

تمثّل كل من شخصية "علاوة"و"مصطفى"و"السي الحسين" الطبقة المثقفة والواعية في المجتمع الجزائري، والتي تختلف في طريقة تفكيرها واهتماماتها عن باقي أفراد المجتمع،فكل شخصية من هذه الشخصيات تجد في الكتب والمطالعة مهرباً لها من هذا الواقع، الذي هم مغتربون عنه على كافة الأصعدة، يصف علاوة محل "السي الحسين" للكتب بما يلي: "محل منزوٍ في حي سوناطراك لبيع الكتب القديمة.. من يهتم؟(...)منكباً على كتاب (مدح الجنونl'éloge de la folie)كان المحل خاويا على عرشه، لا زائرين ولا مستكشفين .. من يهتم لهذا (الخرطي) القديم؟(...) إنّ عمي الحسين مكتبة تقف على رجلين موسوعي الفهم و

[1]ينظر خلفون أسماء: الاغتراب الثقافي وعلاقته بمفهوم الذات" دراسة نفسية اجتماعية لستة حالات"، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير،جامعة وهران السانيا، 2010/2009، ص77، 78.

[2]الرواية، ص32،33.

المعارف..من يهتم؟"، كما يبدو من خلال هذا الاقتباس حالة التهميش التي يعيشها المثقف الجزائري، والانكباب الرهيب للشباب على التفاهات بدل الانشغال بالمطالعة وتوسيع المعارف حيث وصف هذه الكتب القيمة والتي يعتبرها علاوة "شموس" ونوافذ لعوالم أخرى" أما بالنسبة لباقي الشباب ماهي سوى "خرطي قديم" لا يسمن ولا يغني من جوع؛ كان السي الحسين يحمل كتاب "مدح الجنون" وهو رمز لقوة الفكر في تغيير الأمم والثورة على الاضطهاد الذي فرضته الكنيسة على الدول الأوروبية في عصر الظلام، فقد وجهه"إراسموس فون روتردام" لانتقاد الباباوات واستغلالهم لاسم الدين، فكان بداية لثورة فكرية عظيمة، حصد ثمارها المجتمع الأوروبي فيما بعد[1]، هذا التغيير الذي أحدثه كتاب واحد في أمة بأكملها ما هو إلا "خرطي قديم" في نظر الجاهل.

يتوضّح لنا أيضا الانبهار الكلي لشخصية مصطفى بالمجتمع الغربي من خلال بعض الشواهد منها: "في نهاية العشرينات من القرن الماضي، انبهر كاتب ألماني بالحضارة والثقافة والمجتمع الفرنسي، فكتب كتاباً بعنوان "Dieu est–il français! ?" (...) كأنني أنا الذي كنت سأخرجه من أعماقي.. نعم هو فرنسي! إله الحضارة والانفتاح والثقافة، والفن والحرية.. والقيم"[2].في حين لا ينفك يصف الثقافة والحضارة الجزائرية بالانعدام واللاهوية والتي تكتفي بالتقليدفقط يقول: "وبين المحاكاة والمحاكاة المضادة، إذا غربلت الذات الجزائرية لا تكاد تجد شيئاً"[3]، هذا الانبهار الذي تعزّز بعد أن سافر "مصطفى" لفرنسا

وأخذ يحدّث صديقه عن مدنها وتاريخها وعن أحد أقطابها السياسيين، "سيغولينروايال" والتي أتيحت ل"مصطفى" فرصة مصافحتها: "كما كلمتني عن أحد أقطاب اليسار الفرنسي الذين قابلتهم.. وقلت لي بفخر: "لقد صافحت سيغولينروايال"..تلك التي صارت فيما بعد مرشحة الحزب الاشتراكي في رئاسيات2007، بقيت مبهوراً بكم مطالعاتك الجديدة، والآفاق الواسعة

[1]حيدر الجراح: "الحماقة...غريزة لا ينفعها التأديب!"، شبكة المعلوماتية، الثلاثاء 20أوت، 2013 .https://annabaa.org/nbanews/2013/08/207.htm

[2]الرواية، ص111.

[3]المصدر نفسه، ص70.

التي فتحها لك سفرك"[1]،فقد نسي علاوة من شدة سُخطه الشديد على مرارة الواقع وبشاعة الاستعمار وشناعة ما فعله بوطننا يقول: "كان هذا المكان من قبل مستودعات وبناءً من الحقبة الاستعمارية تم هدمه، وأقيم مكانه فندقٌ فاخرٌ"، حيث يشير "الفندق الفاخر" إلى الخمول والتردّي الاقتصادي بعد خروج المستعمر، فهل يشفع لدولة ما أخذ سيادة دولة أخرى بدافع التنمية والإعمار، ولمصلحة من ستكون هذه التنمية؟ .

[1]الرواية، ص112.

خاتمة:

خاتمة

بعد الدراسة التي قمنا فيها باستكشاف قضية الاغترابشرحاً وتحليلاً،وبعد الغوصفي أعماق رواية"مذكرات من وطن آخر" لأحمد طيباوي، نصل في الأخير إلى عرض حوصلة حول كل ما تقدّم سابقاً:

_تراجع دورالنقد الأدبي بسبب تركيزه على الجانب الجمالي في النصوص الإبداعية التي أدّتإلى ظهور النقد الثقافي الذي قام بتدارك النقائص الموجودة في النقد الأدبي.

_النسق هو عبارة عن نظام تتصل به مجموعة منالقضايا ويرتبط بوظيفة ما.

_النسق نوعان الأول ظاهرٌأو معلنٌنستطيع اكتشافه من قراءة أو قراءتين، والثاني مضمر يختبئ وراء قناع الجمالية، يخفي دلائللا نصل إليهاإلا بالفهمالدقيق، وبعد قراءات متأنية.

_النقد الثقافي هو أحدُ فروع النقد النصوصي مهمته البحث عن الأنساق المضمرة، التي تقف خلف تشكل النصوص الابداعية.

_النقد الثقافي وليد بيئة غربية، انتقلإلى العالم العربي عن طريق المثاقفة والاحتكاك بالغرب، وقد تبنّاه العديدُ من الدارسين العرب أمثال عبد الله الغدامي.

_بين النقد الثقافي والنقد الأدبي فروقٌ، فلكل واحدٍ منهما مجاله الخاص به، لكنّ هذا لا يعني غياب قواسم مشتركة بينهما، فيمكن أن نزاوج بين إبراز عنصر الجمالية والبحث عن الأنساق التي أنبنى عليها النص الأدبي.

_ظاهرة الاغتراب قديمة قدم الإنسانتطورت بتطوره، عمل العديد من الفلاسفة والباحثينعلى معرفة أسبابها وإيجاد حلول مناسبة لها.

_ الاغتراب في البيئة العربية وعلى ضوء تعريفات الدارسين العرب مرتبط بعوامل نفسية وبتهميشالذات، وعدم التمكن من تحقيق توافق وانسجام داخل المجتمع.

_من مظاهر الاغتراب العجز ،والشعور بالقهر، والضياع، العزلة، ونزعة التشاؤم.

خاتمة

_من ردود أفعال الإنسان الذي يشعر بالاغتراب اتخاذهموقفين؛ الأولإيجابيٌ يتمثل في المواجهة من أجل تحقيق الذات، والآخرُ سلبي يتمثل في الرضوخ، والاستكانة،والهروب من مواجهة الواقع باختلاف شخصية المغترب.

_ تطورالاغتراب فيالبيئة الغربيةبمرور الزمن، وقدّم فيه العديد من الفلاسفة والدارسين طروحاته كلٌ حسب توجهه.

_الاغتراب عند أنتوني ديفيدزمرتبط بالذات وغياب الثقة والتشاؤم والقلق.

_رؤية ملفين للاغتراب تنحصر في العجز، وفقدانالمعاير واللانتماء.

_الاغترابعند هيجل تجلى في فقدان السيطرة على الأشياء التي صنعها الإنسان بيده وهو اغتراب العقل أو الروح.

_ يرى كارلماركس أنّ الاغتراب الاقتصادي هو أصل كل اغتراب، وهو مرتبط باغتراب العامل عن عمله.

_ أما الاغتراب عنددوركهايميرجع إلى تفكك القيم والمعايير الاجتماعية، وتعدي الآخر وأنانيته، ورغبته في الوصول إلى طموحاته ولو بطريقة غير شرعية وعلى حساب حقوق غيره.

_ ارتبط الاغتراب عندالفلاسفة الوجوديين ارتباطاً وثيقاً بالحرية، فغياب هذه الأخيرة يجعلالفرد يعيش تحت وطأة القيد والإلزاموالجبر، ممّا يقوده إلى الشعور بالعزلة والغربة.

_عملية الاغتراب تمرّ على مراحل نذكر منها: التجزئة والتفتت الاجتماعي، الصراع بين القديم والجديد، الاستغلال الطبقي والظلم والحرمان...

_مصادر الاغتراب أومرجعياته ثلاثة: التفتت الاجتماعيوالتجزئة القومية ظاهرة التبعية وسلطوية الأنظمة على المجتمع.

خاتمة

_ لمصطلحي الغربة والاغتراب نفس المعنى في الجذر اللغوي، لكنّ المعنى الاصطلاحي يختلف،فنجدأنّ الغربة يرافقها الشعور بالحنين إلى الأهل والديار، في حين أنّ الاغترابانفصال المغترب بمحض الإرادة عمّن حوله، ولايحس صاحبه بالشوق الى الوطن.

_أحمد طيباوي من بين الكتّاب الجزائريين الذين تناولوا قضايا الاغتراب فيأعماله الأدبية بوعي ونضوج فكري بالغ.

_جسدت رواية "مذاكرات من وطن آخر" لأحمد طيباوي أنساق الاغتراب الاجتماعي والسياسي والنفسي وغيرها وبكل أبعاده المختلفة في فترات حساسة من تاريخ الجزائر.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

➢ المصادر:

1. أحمد طيباوي: مذكرات من وطن آخر، منشورات ضفاف والاختلاف، بيروت لبنان ط1، 2015.

➢ المراجع العربية:

1. ابراهيم الخليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان، الأردن ط1، 2003.
2. أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، دط، 2013.
3. حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ،2006.
4. حنان بومالي: الاغتراب وتحولات النص الشعري لبلند الحيدري، دار ابن الشاطئ لنشر والتوزيع، جيجل الجزائر، ط1، 2017.
5. سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان، دط، 1971.
6. صلاح الدين أحمد الجماعي: الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران، عمان الأردن، ط1، 2010.
7. عبد القادر الرباعي: جماليات الخطاب في النقد الثقافي رؤية جدلية جديدة، دار جرير عمان، الأردن، ط1، 2005.
8. عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات سيكولوجيّة الاغتراب، دار الغريب للطباعة والنشر القاهرة، مصر، دط، 2003.
9. عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير" من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية للكتاب ط1، 1998.

10. عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000.
11. عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم أدبي، دار الفكر المعاصر بيروت دمشق، ط1، 2004.
12. علي صليبي مجيد المرسومي: الشاعر العربي الحديث ناقدا" نقد الفكر، النقد الثقافي النقد الجمالي"، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.
13. لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلذونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة الجزائر، دط، 2013.
14. محمود رجب: الاغتراب "سيرة مصطلح"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3 1988.
15. يحي عبد الله: الاغتراب "دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية"المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1 ،2005.
16. يوسف محمود عليمات: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 2015.

➢ المراجع المترجمة:

1. آرثر أيزبرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
2. جون ما كوري: الوجودية، تر: أمام عبد الفتاح أمام، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1978.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المعاجم والقواميس:**

1. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام، محمد هارون دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دط، ج:5، 1979.
2. اسماعيل بن حمّاد الجوهري: معجم الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، ج1، 1979.
3. جمال الدين أبو الفضل بن منظور: لسان العرب، مادة: غرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، دط، ج1، 2005.
4. ريموند وليامز: الكلمات المفتاح (معجم ثقافي ومجتمعي): تر: نعيمان عثمانالمجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005.
5. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، الدار البيضاء لبنان، ط1، 1985.
6. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دارقباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، ط5 2007.

- **المجلات:**

1. جديدي زليخة: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد2012،8.
2. جمعة برجوح: النسق مفهومه وأقسامه، مجلة مقاليد، العدد 13، ديسمبر،2017.
3. حمزة بوزيدي: مظاهر الاغتراب في رواية "مذكرات من وطن آخر" لأحمد طيباويمجلة(لغة–كلام)، غليزان، الجزائر، مجّلد7، عدد3، 5جوان 2021.
4. قيس النوري: الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، مجلد10 عدد11979.

المصادر والمراجع:

➢ الرسائل العلمية:

1. خلفون أسماء: الاغتراب الثقافي وعلاقته بمفهوم الذات" دراسة نفسية اجتماعية لستة حالات"، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير ،جامعة وهران السانيا، 2010/2009.
2. معاشوبووشمة: الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي نسق القبيلة أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر ،2019/2010.

➢ المواقع الإلكترونية:

1. حيدر الجراح:"الحماقة...غريزة لا ينفعها التأديب!"، شبكة المعلوماتية، الثلاثاء 20أوت،2013، https://annabaa.org/nbanews/2013/08/207.htm.

الملخص:

الملخص:

تطرّقنا في بحثنا إلى قضية مهمّة، تتمثّل في أنساق الاغتراب في رواية" مذكرات من وطن آخر "لأحمد طيباوي، بالاعتماد على النقد الثقافي ومقولاته، خاصّة فيما تعلق بموضوع النسق والاغتراب، هذا الأخير الذي يعتبر موضوعاً مبهماً قيلت فيه العديد من الطروحات قديماً وحديثاً.انبنتدراستنا لهذا الموضوع على ما يلي: في الفصل الأول الذي هو بمثابة أرضية حاولنا فيها صبّ مختلف المعلومات التي تتعلق بهذه القضية، بالشرح والتحليل.

وبما أن الاغتراب هو عبارة عن نسق قابل للدّراسة والتحليل، لقد قمنا في الفصل التطبيقي بإسقاط ظاهرة الاغتراب وأنواعها على المدونة الروائية، بحيث دعّمنا هذا الأمر بشواهد وأمثلة مأخوذة من الرواية، والتي تمثّل أنساق الاغتراب النفسي والاجتماعي والثقافي والمكاني... الكامنة في الرواية.

Summary:

In this search, we have addressed an important issue, of alienation patterns in Ahmed Al-Tibawi's novel "memoirs from another homeland", it is bases on the cultural criticism and its argumentsespecially with regard to the topic of pattern and alienation, the latter is vague subject, so there have been many old and recent presentations .Our study of this topic has built up on the following :In the first chapter, which serves as the ground where we tried to pour the various informationthat relates to this case by explaining and analyzing.

and since alienation is a pattern that can be studied andanalyzedthat is why in the applied chapter, we dropped the phenomenon of alienation and its types on the narrative blog, so that we support this with evidence and examples from the novel, we studied the psychological, social, cultural and spatial alienation patterns ...in the novel.

الفهرس:

الفهرس:

❖فهرس الموضوعات:

مقدمة:.....3

الفصل الأول: الاغتراب بين النظرية والنسق..... 6

المبحث الأول: بين النقد الثقافي والنسق

الثقافي.....7المطلب الأول: مفاهيم

أساسية.....7

المبحث الثاني: النقد الثقافي النشأة والمفهوم.....13

المطلب الأول: الدراسات الثقافية.....13

المطلب الثاني: مفهوم النقد الثقافي.....15

المطلب الثالث: بين النقد الأدبي والنقد الثقافي..... 17

المبحث الثالث: مفهوم الاغتراب عند العرب والغرب..... 19

المطلب الأول: مفهوم الاغتراب..... 19

المطلب الثاني: عملية الاغتراب ومراحلها..... 24

المطلب الثالث: مصادر الاغتراب..... **24**

المطلب الرابع: الفرق بين الغربة والاغتراب..... 26

المطلب الخامس: أبعاد الاغتراب..... 26

الفهرس:

الفصل الثاني: "تجليات الاغتراب في رواية "مذكرات من وطن آخر"..... 27

المبحث الأول: الاغتراب الداخلي..... 29

المطلب الأول: الاغتراب النفسي..... 29

المطلب الثاني: الاغتراب الوجودي..... 32

المطلب الثالث: الاغتراب اللغوي..... 36

المطلب الرابع: الاغتراب المكاني..... 38

المبحث الثاني: اغتراب خارجي..... 42

المطلب الأول: الاغتراب الاجتماعي..... 42

المطلب الثاني: الاغتراب الاقتصادي..... 45

المطلب الثالث: الاغتراب السياسي..... 48

المطلب الرابع: الاغتراب الثقافي..... 52

خاتمة:..... 55

قائمة المصادر والمراجع..... 59

الملخص..... 64

الفهرس..... 66